Mugoal.com



الإيمان

تأليف

عبدالمجيد الزّنداني

و

عبد الله الوظاف - أحمد سلامة

فيصل عبد العزيز - حزام البهلولي

توحيد عبد الحميد

دار القلم

دمشق

الطبعة الخامسة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١

أسماء أصحاب الفضيلة العلماء
الذين قاموا بمراجعة هذا الكتاب

١ ــ إبراهيم بن عمر عقيل
٢ ــ أحمد بن إبراهيم العيزري
٣ ــ أحمد بن أحمد حربة
٤ ــ أحمد بن إسماعيل العنسي
٥ ــ أحمد بن حمود الشيخ
٦ ــ أحمد بن عبد الرزاق الرقيحي
٧ ــ أحمد بن عبد الله خليل
٨ ــ أحمد بن عبد الله الظامري
٩ ــ أحمد بن على الآنسي
١٠ ــ أحمد بن على الشامي
١١ ــ أحمد بن على العفيف
١٢ ــ أحمد بن على الغرسي
١٣ ــ أحمد بن على بن أحمد المتوكل
١٤ ــ أحمد بن على المرتضى
١٥ ــ أحمد بن عيدروس علوى
١٦ ــ أحمد بن قاسم البحر
١٧ ــ أحمد بن محمد غمضان
١٨ ــ أحمد بن محمد المجاهد
١٩ ــ أحمد بن محمد المهدى
٢٠ ــ أحمد بن مقبل بن نصر
٢١ ــ أسد حمزة
٢٢ ــ إسماعيل بن صالح نصار
٢٣ ــ حسن بن قاسم البحر
٢٤ ــ حسن بن يحيي الذارى
٢٥ ــ حسين بن عبد الله البدرى
٢٦ ــ حسين بن على كعيبه
٢٧ ــ حسين بن يحيي الشعوبى
٢٨ ــ حمود بن محمد بن عبد الله شرف الدين

٢٩ ــ حمود بن هاشم الذارحى
٣٠ ــ حميد بن قاسم عقيل
٣١ ــ راشد بن عوض الوصابى
٣٢ ــ زيد بن على الآنسى
٣٣ ــ زيد بن على الكبير
٣٤ ــ شرف بن قاسم الوجيه
٣٥ ــ عبد الخالق بن محمد شمسان
٣٦ ــ عبد الرحمن بن عباس بن إبراهيم
٣٧ ــ عبد الرزاق بن أحمد الرقيحى
٣٨ ــ عبد القادر بن عبد الله
٣٩ ــ عبد الكريم بن على الرحبى
٤٠ ــ عبد الله بن عبد الحق المطرى
٤١ ــ عبد الله بن عبد الله الوظاف
٤٢ ــ عبد الله بن عبده بن مهدى الأبى
٤٣ ــ عبد الله بن قاسم الوشلى
٤٤ ــ عبد الله بن محمد الشرفى
٤٥ ــ عبد الله بن محمد العنسى
٤٦ ــ عبد الله بن يحيي العنسى
٤٧ ــ عبد المعز بن عبد الستار
٤٨ ــ عبد النور بن محمد البركانى
٤٩ ــ على بن أحمد واصل
٥٠ ــ على بن محمد الحبسى

٥١ ــ على بن محمد بن على الشرفى
٥٢ ــ على بن مطهر عشيش
٥٣ ــ على بن يحيي شمسان
٥٤ ــ لطف بن محسن سارى
٥٥ ــ محمد بن أحمد التعزى
٥٦ ــ محمد بن أحمد العزانى
٥٧ ــ محمد بن أحمد العمال
٥٨ ــ محمد بن أحمد الغربانى
٥٩ ــ محمد بن أحمد الوهابى
٦٠ ــ محمد بن إسماعيل العمرانى
٦١ ــ محمد بن إسماعيل العنسى
٦٢ ــ محمد بن إسماعيل بن محمد المتوكل
٦٣ ــ محمد بن حسن قاسم
٦٤ ــ محمد بن سعيد الشيبانى
٦٥ ــ محمد بن سليمان الأهدل
٦٦ ــ محمد بن شرف الدين
٦٧ ــ محمد بن عبد الرحمن العنسى
٦٨ ــ محمد بن عبد الجليل الغزى
٧٩ ــ محمد بن عبد الله بن لطف شاكر
٧٠ ــ محمد بن عبد الله الهدار
٧١ ــ محمد بن على البدرى
٧٢ ــ محمد بن على البطاح
٧٣ ــ محمد بن على الرحبى

٧٤ — محمد بن على بن محمد الأكوع

٧٥ — محمد بن على عجلان

٧٦ — محمد بن على المنصور

٧٧ — محمد بن على الهيصمى

٧٨ — محمد بن محمد الغشم

٧٩ — محمد بن محمد أبو الغيث

٨٠ — محمد بن محمد القديمى

٨١ — محمد بن مشعوف الأسلمى

٨٢ — محمد بن مقبل بن نصر

٨٣ — محمد بن يحي المطهر

٨٤ — محمد بن يحي الدولة

٨٥ — محمد بن يحي قطران

٨٦ — محمد بن يحي مرشد

٨٧ — محمد بن يحي شمسان

٨٨ — محسن بن قاسم حميد

٨٩ — مشرف بن عبد الكريم المحرابى

٩٠ — مطهر بن شرف الدين حنش

٩١ — منصور بن ناجى صالح

٩٢ — مهيوب سعيد مدهش

٩٣ — يحي بن أحمد شمسان البعدانى

٩٤ — يحي بن أحمد التعزى

٩٥ — يحي بن عبد الله حسوسه

٩٦ — يحي بن عبد الله الحبشى

٦٧ — يحي بن على الآنسى

٩٨ — يحي الصعفانى

٩٩ — يحي بن لطف الفسيل

١٠٠ — يسن بن عبد العزيز

تنبيه : رتبت أسماء أصحاب الفضيلة العلماء بحسب ترتيب حروف الهجاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمَة

إنَّ الحمـــدَ لِلهِ ، نحمــدُه ونستعينُه ونَستغفرُه ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أَنفُسِنَا وسَيِّئاتِ أَعمالِنَا . مَن يَهدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لهُ ، ومَن يُضْلِلْ فَلاهَادِيَ لَهُ ، وأَشهَدُ أَن لَا إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وبعد : فإِنَّ أَولَ واجبٍ عَلى الإِنسانِ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ سُبحانَهُ عَن طَريق العلمِ ، قَالَ تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] . وأَن يَعرِفَ رَسُولَ رَبِّهِ ، وَصِدْقَ رِسَالَتِهِ ؛ عَن طَريق الْعِلمِ الَّذِى يُورثُ اليَقِينَ ، قَالَ تعالَى : ﴿ أَفَمَن يَعلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] ، وأَن يَعرِفَ الحِكْمَةَ مِن خَلْقِهِ فِى هذهِ الدُّنيا ، وَأَن يَعرِف مَصِيرَهُ الَّذى إليه يَسِيرُ ، وأَن يَعرِفَ دِينَ رَبِّه الَّذى هُو مَأْمُورٌ بِاتِّباعِهِ .

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : الآية (١٩) .

(٢) سورة الرعد : الآية (١٩) .

وَإِذَا كَان شَرَفُ الْعِلمِ بِشَرَفِ الْمعْلُوم ، فَإِنَّ عِلم الْإِيمَانِ يَتعلَّقُ بمَعرفَةِ الله ، ومَعرِفَةِ رَسولِهِ ، ومَعرِفَةِ دينِ اللهِ ، وَإِذَا كَانت أَهميةُ الْعمَلِ تَتَناسبُ معَ الْفائِدةِ الَّتى يَجنِيهَا الإِنسانُ منهُ ، كَما تَتَناسَبُ مَع الْخَطَرِ الَّذى يدْفَعُهُ الإِنسانُ عَن نَفْسِهِ بِهَذَا الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ عِلمَ الإِيمانِ يُحقِّقُ لِلإِنسانِ السَّعادةَ والفوزَ العَظِيمَ ؛ فى الدُّنيا والآخِرَةِ.

وَلقدْ وَعدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ فى الدُّنيا بِوعُودٍ كثيرةٍ ، مِنهَا :

١ ـ النَّصرُ على أَعدَائِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] .

٢ ـ الدِّفاعُ عَنهُم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[٢]

٣ ـ الْوِلَايةُ لَهُمْ ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[٣]

---

(١) سورة الروم : الآية (٤٧). (٢) سورة الحج : الآية (٣٨) .
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٧) .

٤ - الْهِدَايَةُ لَهُم ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] .

٥ - عدمُ تسليطِ الكافِرينَ عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[٢] .

٦ - التَّمْكِينُ لَهُم والاسْتِخلاَفُ فِى الأَرْضِ ، قَالَ تَعَالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[٣] .

٧ - الرِّزقُ الطَّيِّبُ ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤] .

٨ - العِــزَّةُ ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِــزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥] .

٩ - الحَياةُ الطيِّبَةُ ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن

---

(١) سورة الحج : الآية (٥٤) . (٢) سورة النساء : الآية (١٤١) .
(٣) سورة النور : الآية (٥٥) . (٤) سورة الأعراف : الآية (٩٦) .
(٥) سورة المنافقون : الآية (٨) .

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[١] .

هَذَا بعضُ مَا يَفُوزُ بِه المُؤمِنُونَ فِى الدُّنْيا ، وَهذَا هُو الَّذِى تحَقق لِأَسْلاَفِنَا المُؤْمِنين الصَّادِقِينَ .

أَمَّا الدَّارُ الآخِرةُ فحَسْبُهم قولُ اللهِ سُبْحَانَه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا[٢] ، خَٰلِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ خَٰلِدِينَ فيهَا وَعْدَ ٱللهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤] .

وَمَن يَتأَمّلُ أَحوالَ المُسْلِمينَ اليومَ يَجِدُ أَنَّ ما وَعدَ اللهُ المُؤمِنينَ بِهِ فِى الدُّنْيا غيرَ مُتحقِّقٍ لَهُم . مِمَّا يَشْهدُ بِأَنَّ إِيمانَهُم ضَعِيفٌ ، أَوْ أَنَّهُم فَقَدُوا صِفَاتٍ كَثِيرةً مِنَ الإِيمَانِ أَوْ أَكْثَرَها . فغاب عنهم فى حياتهم الدُّنيا ما وعد اللهُ به المؤمِنينَ مِنَ : النَّصْرِ . وَالولاَيَة . وَالدِّفاعِ ، والْهِدَايَةِ ، والاسْتِخْلاَفِ ، والتَّمْكِينِ . وعَدَمِ تَسْليطِ

---

(١) سورة النحل : الآية (٩٧) .
(٢) أى منزلا أو مايهيأ للضيف النازل من طعام وغيره .
(٣) أى تحولا عنها إلى غيرها .سورة الكهف : الآيتين (١٠٧،١٠٨) .
(٤) سورة لقمان : الآيتان (٨ ، ٩) .

الكَافِرينَ ، والرِّزْق الطيِّب ، والعِزَّةِ ، والحَيَاةِ الطَّيِّبةِ ، ومَن استَمَرَّ على حَالِه هَذا فَسيَخسَرُ ما أَعدَّهُ اللهُ لِلْمُؤمِنينَ فى الآخِرَةِ كَما خَسِرَ فى الدُّنيا ، بَلْ رُبَّمَا خَسِرَ نفسَه فى نَارِ جَهَنَّمَ .

لِذلِكَ كانَ لا بُدَّ من تَقْوِيةِ الإِيْمانِ وتَثْبِيتهِ وتَجْدِيدِه وذلك بِنَشْرِ عُلُومهِ بَيْن المُسْلمينَ ، وبتَطْبِيقِ أَحْكامِ الدِّينِ ، وكان على العُلَمَاءِ أَن يُبادِرُوا لِلْقيـــامِ بِهذا الوَاجِبِ ، خَاصَّةً وهُم يُشاهِدُونَ هُجُومَ المَبادِئِ الإِلْحاديَّةِ على المُسلِمين ، ونشاطِ الحَرَكاتِ التَّنصِيريَّةِ ، كما يُشاهِدونَ انتِشَارَ الخُرافَاتِ والأَباطِيلَ ، التى يُحاولُ أَهلُها أَن يَنْسبُوهَا بِالباطِل إلى الدِّين .

وَهَذَا كتابُ الإِيمانِ ، نَضَعُه بين يَدَى المُسْلِمين ، من سِلْسِلَةِ تَعليم الواجِبَاتِ الدِّينيَّةِ ، ونَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالصاً لوَجهِهِ ، وأنْ يَنْفعَ به المُسلِمِيْن .

وإِنَّنا نَطلبُ من كلِّ غَيُورٍ على دينهِ ، أَن يَبْذُلَ جُهدَهُ لتعلُّمه وتَعْلِيمِهِ لِأَهلِهِ وجِيرانِه ، ولسائِرِ المُسلِمينَ .

واللهُ الموفِّقُ . وَآخِرُ دَعْوَانَا أَن الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

المؤلفون

الإيـمانُ وَحقيـقتُه

لَقد بيَّنَ اللهُ سُبحَانَه لِعِبَادِهِ حَقِيقَةَ الإِيْمانِ الَّذى يَقْبَلُ اللهُ بِهِ الأَعمَالَ . ويتحقَّقُ به مَا وَعد اللهُ المؤمِنين .

الإِيمانُ اعْتِقَادٌ وعَمَل :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا[1] وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ ﴾[2] ، ونرى من هذه الآيةِ ، أَنَّ الإِيْمان المَقْبُولَ الصَّادقَ ، هو الاعتِقادُ الَّذِى لا يُخالِطُه رَيْبٌ ، وَهُوَ العَمَلُ المُتَمثِّلُ فى الجِهَادِ بِالْمالِ وَالنَّفْسِ فى سَبيلِ **الله** .

ذَلِكَ لِأَنَّ اعتِقَادَ القَلْب لاَ يكْفِى لِقبُولِ الإِيمَانِ ، فلَقَد كَان إِبْلِيسُ مُعْتَقِدًا باللهِ ، فَقَدْ جَاءَ عَلى لِسَانِه فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ : ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[3]

---

(١) « لم يرتابوا » : لم يشكو . (٢) سورة الحجرات : الآية (١٥) .
(٣) سورة ص : الآية (٧٩) .

وَمَع ذَلِكَ فَقَدْ وَصفهُ اللهُ بِالكُفْرِ لِتَكَبُّرِهِ عَنْ عَمَلٍ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ ، قال تعالى : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾[١] .

فالإيْمانُ الحَقُّ إِذَنْ هُوَ الَّذِى يَشْتَمِلُ على :

١ ـ العَقِيدةِ الثَّابتةِ الَّتِى لا يُخالِطُهَا شَكٌّ .

٢ ـ العَملُ الذِى يُصدِّقُ العَقِيدةَ وَهُوَ ثمرتها .

والعملُ أَنواعٌ :

ـ عَملُ القلبِ ، مِثْلُ : الْخَوفِ مِنَ اللهِ ، والإِنَابَةِ إِليْهِ ، والتَّوكُّلِ عَلَيهِ .

ـ عملُ اللِّسانِ ، مثل : نُطقِ الشَّهادتَيْنِ ، والتَّسْبِيحِ والاسْتِغفَارِ ، والدَّعوةِ إلى اللهِ .

ـ عملُ الجَوارح ، مثل : الصَّلاةِ ، والزَّكاةِ ، والصَّوم ، والجِهَادِ فى سَبيلِ اللهِ ، وطَلبِ العِلْمِ للهِ ، والتِّجارةِ

---

(١) سورة البقرة : الآية (٣٤) .

والزِّراعَةِ والصِّناعَةِ تحقيقاً لأَمرِ اللهِ فى استِخْلافِ الأَرْضِ طِبْقًا لِتعَاليم الإِسْلامِ .

الإيمان يَزِيدُ ويَنْقُص :

وهُناكَ أَسْبَابٌ ، تُقَوِّى الإِيمَانَ فيزِيدُ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَنًا ﴾(١) ، وهُناكَ أَسبابٌ مِن المَعاصى تُضْعِفُ الإيمانَ ، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ ولا يزْنِى الزَّانِى حين يَزْنِى وهُو مُؤْمِنٌ . . . ﴾(٢)

وإذَا أَرَدْنَا الفوزَ بتَحقِيقِ الإِيْمَانِ فعَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَه :

١ ـ تَصديْقاً ثَابتاً فى القُلُوبِ عَن طَرِيقِ العِلْم .

٢ ـ وعَمَلاً فى القُلوبِ : عن طَرِيقِ التَّذكُّرِ والتَّفكُّرِ ، وخَاصَّةً فى آيَاتِ الله الكونِيَّة والقرآنية وفى الوَعدِ والوعيدِ .

٣ ـ وقولاً باللِّسَانِ : بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ ، وقَولِ الحقِّ ، والدَّعْوَةِ

---

(١) سورة الأنفال : من الآية (٢) .

(٢) يخرج الحديث .

إِلَى الله ، والأَمْر بِالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وتَعَلُّم العلم وتَعليمِه ، والتَّواصى بِالحقِّ والتواصى بالصَّبر .

٤ ـ وعَملاً بِجَوارِحنَا : بِإِقَامَةِ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ ، والجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللهِ بِالْمَالِ والنَّفْسِ ، وبِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ لِلامْتِثَالِ لِأَمْرِ اللهِ ، وبِمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ كَمَا قَالَ تعالى :﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا * وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[١]

وَهَذَا كُلُّهُ يَحتَاجُ أَوَّلاً إِلَى إِصْلَاحِ القُلُوبِ وتَنْقِيَتِها مِنْ الأَمْرَاضِ الصَّادَّةِ عَنِ الْهُدَى .

---

(١) سورة الكهف : الآيتان (٢٨ ، ٢٩) .

إصلاح القلوب

« يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »[١]

القلبُ السليمُ قَلبُ المُؤمِن :

فكَما أَنّ الأَرضَ الصالحةَ للزِّراعةِ تتَّصِفُ بأَوْصافٍ ، فَكَذلِكَ قَلْبُ المؤمِنِ يتَّصِفُ بِأَوصاف ، منها :

١ ـ الإِقْبالُ على الحَق :

الَّذى يَنْتُجُ عَنهُ مَعْرفةُ الحقِّ واتِّباعِه ، قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢] ، أَما القُلُوبُ الكَافِرَةُ السَّقِيمَة ، فَتَراهَا مُعْرِضَةً عَنِ الحَقِّ ،

---

(١) سورة الشعراء : الآية (٨٨) . السليم : الصحيح من الشك والشبهة

(٢) سورة الزمر : الآيتان (١٧ ، ١٨) .

فتَبْقى جاهِلةً لا تَهْتَدِى إليْه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾[1] .

٢ - حبُّ الحَقِّ وانْشِرَاحُ الصّدرِ للإسْلامِ :

وصَاحِبُ القَلْبِ السَّلِيمِ يُحِبُّ الحقَّ ، ويَنْشَرِحُ صَدرُهُ لِتَعَلُّمِ الإسْلاَمِ ، فَيستَحِقُّ بِذلك هِداية الله . وأَمَّا صَاحِبُ القَلْبِ السَّقِيمِ ، فَتَرَاهُ يَكْرَهُ الحَقّ ، ويضِيقُ صَدْرُهُ لِسَماعِ الإسْلامِ ، وبِهذَا يُعرِّضُ نَفسَهُ لِعِقَابِ اللهِ لَهُ بإضلالِه ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] وذَلِكَ لأَنَّهم يَكْرهُونَ الحَقَّ ، قال تعالى : ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[3] .

٣ - إجابة دعوة الإيمان ، وحب الازدياد منه :

وَصاحِبُ القَلْبِ السَّليم يَسْتَجيبُ لدَعْوةِ الإيمانِ ،

---

(١) سورة الأنعام : الآية (٤) .
(٢) حرجاً : شديد الضيق . سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .
(٣) سورة المؤمنون : الآية (٧٠) .

كَما حَكَى اللهُ عَنْ أَهلِ القُلوبِ السَّليمةِ قولهم : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[1] ،ويُحِبُّ المُؤمِنُ دائِماً أَنْ يَزْدادَ مِن الإِيمانِ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[2] .. وأَمَّا أَهْلُ القُلُوبِ المَرِيضَةِ فتَراهُم يَصُدُّونَ عَن سبِيْلِ الله ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ويَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰئِكَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾[3] .

وتَرَى أَهْلَ القُلُوبِ السَّلِيمَةِ يَتَفكَّرُون فِى أَنفُسِهِم ، وفِى خَلْقِ السَّمٰواتِ والأَرضِ ، وفِى الهُدَى الَّذِى جاءَهُم من خَالِقِهِم ، يُعرِّفُهُمُ الحِكْمَةَ مِن حَياتِهِم ، ومَوْتِهِم

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٩٣) .

(٢) «مرض» : أى ضعف اعتقاد . « رجساً» : كفراً إلى كفرهم . سورة التوبة : الآيتان (١٢٤، ١٢٥) .

(٣) «يصدون» : يردون أنفسهم والناس عن الإيمان«يبغونها عوجاً» : يطلبونها معوجة . سورة إبراهيم : الآية (٣) .

ويَصِفُ لَهم ماضِيَهُم ومُستَقْبَلَهم ، والجَنَّةَ الَّتى أَعَدَّهَا اللهُ لِعبَادِه المُؤمِنِين ، والعَذابَ الَّذى يَنْتَظِرُ الكَافِرِين ، ويَتَفكَّرُونَ فى مُعجزاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّم ، و أَدلَّةِ صِدْقِه وكَيفَ يُطبِّقُونَ ما أَمَرَهُم بِه لِتَتَحقَّقَ لَهُم سَعادَةُ الدُّنيا وَالآخِرة ، ولِيَتَّقُوا عذَابَ النَّارِ ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] ، ولَكِنَّ الكافِرين ، عَطَّلُوا أَسْماعَهُم وعُقُولَهُم ، عمَّا خُلِقَتْ له مِنَ التَّفكُّر ، فلا يَعْتَرفُون إلَّا يومَ يَنْدَمُونَ يوم القِيَامةِ ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِير * فَٱعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ »[2] .

٤ ـ التَّذَكُّر :

والإِنسانُ يَنْسَى ، ولكِن صَاحِبَ القلبِ السَّلِيمِ يَتَذكر ، فيُبْصِرُ ولا يَعْمى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٩١) .

(٢) سورة الملك : الآيتان (١٠، ١١) .

ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[١] ، لِذَلِكَ شَرعَ اللهُ التَّذكِيرَ ، فقال سبحانه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، وقال سبحانه : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[٣] أَمَّا أَهلُ القُلوبِ السَّقِيمَةِ فَتَراهُم فى غَفْلَةٍ لا يُؤمِنون ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] فَإِن ذَكَّرْت بَعْضَ الْغَافِلَينَ عَن الآخِرَةِ فربَّما يَقُولُ لَكَ : أَجِئْتَ لِتُعَلِّمَنِى الإِسْلاَمَ اليومَ؟ وأَنا مُسْلِمٌ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ !

٥ - الْيقِيْن :

وتَرى صَاحِبَ القلبِ السَّلِيمِ الَّذِى يَتَفكَّر ، ويَتَعلَّم ، ويَتَذكَّر ، قَد وَصلَ إلى اليَقين كَما بَيَّن ذَلك رَبُّنَا فى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) سورة الذاريات : الآية (٥٥) .

(٢) يصلى : يدخل النار . سورة الأعلى : الآيات (١٠-١٣)

(٣) يوم الحسرة : اسم من أسماء يوم القيامة . سورة مريم : الآية(٣٩).

وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1].
أَمَّا الغَافِلُ الْمُعْرِضُ فتراهُ فِى رَيْبٍ وَشَكٍّ، قال تعالى:
﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾[2] . . ولا يَعْرِفُ اليَقِينَ
إلَّا كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا
رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ
صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [3]

٦ - لِينُ القلوبِ لِذكر الله :

وتَرى أَهلَ القُلوبِ السَّلِيمَةِ تَلِينُ قُلوبُهمْ وجُلُودُهُمْ
لِذكْرِ الله وآياتِه ، أَمَّا الكافِرُونَ فتَرَى قُلوبَهُم قَاسيَةً ،
قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ
نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا
مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ [4] . فتَرى أَهلَ هَذه

---

(١) يبث : ينشر ويفرق . سورة الجاثية : الآيتان (٣، ٤).

(٢) سورة الدخان : الآية (٩) . (٣) سورة السجدة : الآية (١٢) .

(٤) «فويل» : فهلاك وحسرة . «مثانى» : مكرراً فيه الأحكام والقصص والمواعظ . «تقشعر» : تضطرب وترتعد من قوارعه. سورة الزمر : الآيتان (٢٢ ، ٢٣) .

الْقُلُوبِ القَاسِيَةِ يَتكبَّرونَ ويُعَانِدُونَ ويَجْحَدُون الآياتِ والدَّلائِلَ ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1] . . وهؤلاءِ المُتكبِّرون يُعاقبُونَ ، كما قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[2] . هَذا فى الدُّنيَا وأَمَّا يَومَ القِيامَةِ فَجَزاؤُهُمْ كما قال تعالى : ﴿ ويَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[3]

٧ ـ اتباع القرآن والسُّنة :

وترى صَاحِبَ القلْبِ السَّليمِ ، قد التَزَم الطَّاعة لِرَبِّه ولِرَسُولِ ربِّه ، وأَخذ يَسْلكُ فِى هَذِه الدُّنيا فِى كلِّ شَأْنٍ مِن شُئونه ، طِبْقًا لِكتابِ الله وسُنَّةِ رَسُولهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ

---

(١) سورة النمل : الآية (١٤) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٤٦) .

(٣) عذاب الهون : الهوان والذل . سورة الأحقاف : الآية (٢٠) .

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١). والْتزمَ أَمْرَ اللهِ القائِلِ : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ﴾ (٢) ، والقائِلِ : ﴿ وَمَآ ءَاتَٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٣) ، ذَٰلِكَ لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةٌ للهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(٤) .

وأَما صاحِبُ القَلْبِ المَرِيضِ فتراهُ يتَّبعُ كلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ ، وتَراهُ يتَّبعُ هَواهُ ويُعبِّدُ نَفْسَهُ لِغَيرِ اللهِ ، ويَندَمُ لَكِنْ يومَ لايَنفَعُ النَّدمُ ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾(٥) .

---

(١) سورة التوبة : الآية (٧١) .

(٢) سورة النساء : الآية (٥٨) .

(٣) سورة الحشر : الآية (٧) .

(٤) سورة النساء : الآية (٧٩) .

(٥) سورة الأحزاب : الآية (٦٦) .

فإذا اتَّصفَتْ قلوبُنا بالصِّفاتِ الطِّيبةِ السَّابقةِ فَعِندئذٍ نَكُونُ من أَهْلِ القُلُوبِ السَّليمَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِى تَنْبُتُ فِيها شَجرةُ الإِيمانِ ، وتَترعْرَعُ وتُثمِر الأَعمالَ الصَّالِحةَ وإذا كُنا لَا نَجِدُ فى أَنفُسِنا الأَعمالَ الصَّالِحةَ فإن ذلِك يَرجِعُ إلى ضَعْفِ شَجَرَةِ الإِيمانِ الَّتى نَبَتَتْ فى قُلوبِنَا والتى لمْ تَسْتَكمِلْ صِفَاتِ الصَّلاحِ ، ومَا لَم نُبادِرْ بإِصْلاح مافى قُلوبِنا فَلن يَتَغَيَّر شَىءُ من حَالِنَا ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم ﴾[1]

وقَالَ عَليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أَلا إِنَّ فى الْجَسَد مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّه ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه ، أَلَا وَهىَ الْقَلْبُ »[2] . ولَن تَصلُحَ القُلُوبُ إِلاَّ بِنُموِّ الإِيمانِ فِيهَا وتَمكُّنِه .

---

(١) سورة الرعد : الآية (١١) .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث النعمان بن بشير .

الإِيمَانُ بِاللهِ

الإيمانُ باللهِ تَعالَى وَاجبٌ عَلى الإنسَانِ :

إِذَا تَفكَّرَ الإِنسانُ قَلِيلاً سَيجِدُ أَنَّ اللهَ الَّذى خَلَقَهُ قَدْ أَعْطَاهُ أَدوَاتٍ يَتَعلَّمُ بِها سَائِر العُلُوم الدِّينيَّةِ والدُّنْيَويَّة وبغَيرِهَا لَا يُمكنُه أَنْ يكْتَسبَ شَيئًا من عِلْمٍ ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] .
ومِن أَوّلِ شُكْرِهِ سُبحانَه أَنْ نَستَخدمَ أَدواتِ العلْمِ التى وهَبنَا إِيَّاها ، فى الْعِلمِ به ، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[2] ، وبِغَير أَنْ يَعلمَ الإِنسَانَ خالقه لا يُمكِنُه أَنْ يتَّبِعَ هُداهُ الَّذى يُسْعِدُه فى الدُّنيا والآخِرةِ فيكونَ مِن الخَاسِرِيْن ، لِذلِكَ كانَ أَوَّلُ واجبٍ عَلَى الإنسَانِ أَنْ يعرفَ الله تعالى .

---

(١) « الأفئدة » : القلوب . سورة النحل : الآية (٧٨) .
(٢) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : الآية (١٩) .

العِلمُ طَرِيقُ الإيمَانِ

وإذَا أَرادَ الإنسَانُ إيماناً صحِيحاً فعلَيه بالْعلم ، قَالَ تعَالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] ، ذَلِكَ لأَنَّ إيمان الْمُقَلِّدِ لِغَيْرِهِ سُرْعَانَ مَا يَهتزُّ عندَ أَوَّلِ ٱمتحانٍ وعند أَوَّلِ شُبْهَةٍ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ[2] ﴾ وقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ الدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ[3] ﴾

---

(١) سورة الرعد : الآية (١٩) . (٢) سورة الزمر : الآية (٩) .
(٣) «على حرف» : أي على طرف وجانب من الدين سرعان ماينقلب. سورة الحج الآية (١١) .
(٤) سورة آل عمران : الآية (١٩٠ ، ١٩٢).

الأَدِلَّـــةُ العِـلْميَّـةُ عَلَى الإِيمَانِ باللّهِ سُبحَـانَه

القواعدُ العقلية

القَـاعِـدَةُ الأولَى
العَـــدَمُ لا يَخْــلُقُ شَـــيْئًـا

العَدَمُ الَّذى لاَ وجُودَ لَه لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصنعَ شَيئاً لأَنَّه غير موجود .

المَـــوْجُـــودُ

إِذَا تَأَمَّلْنَا فِى المَخْلوقَاتِ الَّتى تُولَدُ فِى كلِّ يوم ، مِن إِنسَانٍ ، وحَيَوانٍ ، ونَبَاتٍ ، وتفكَّرنا فى كُلِّ ما يَحدثُ فى الوجُودِ ، مِن رِياح ، وأَمطَارٍ ، ولَيْلٍ ، ونَهَارٍ ، ونَظَرنَا إلى مَا يَجرِى فى كُلِّ حينٍ : مِن حَرَكَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ للشَّمسِ والقمرِ ، والنجوم والكواكبِ ، إذا تَأَمَّلنا فى هَذا وَغيرِه مِنَ التغيُّراتِ المُحْكَمَةِ التِى تجرِى فِى الوُجُودِ ، فى كُلِّ لَحظَةٍ ، فإِنَّ العَقْلَ يَجزمُ بِأَنَّ هَذا كُلَّه لَيسَ من صُنع الْعَدم ، وإِنَّما هُو مِن صُنْع الخَالِق

المَوجُودِ سُبحانَه . قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْهُمُ ٱلْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّايُوقِنُونَ (١) ﴾

القَاعِدَةُ الثَّانِيَة

التَّفَكُّرُ فِي المَصْنُوعِ يَدُلُّ عَلَى بَعْضِ صِفَاتِ الصَّانِعِ

إن كلَّ شَيءٍ يُوجَدُ فى المَصْنُوعِ يدلُّ على قُدرَةٍ ، أَو صفةٍ ، عندالصَّانِع ، فَلاَ يُمكِنُ أَنْ يُوجَدَ شيءٌ فِي المَصْنُوع ، إِذَا كانَ الصَّانعُ لا يَمْلِكُ قُدرةً ، أَو صفة ، مكَّنتْهُ من فِعْلِ ذلكَ الشَّيءَ فِي المَصْنُوعِ . مثال :

إِذَا رَأَيتَ باباً مِنَ خَشبٍ ، قد أُتقِنَ صُنعُه ، فإِنَّكَ ستَعْلَمُ أَنَّ الصَّانِعَ يَملِكُ الخَشَبَ ، وأَنَّه يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقطَعَه بانتِظَام ، وأَنَّه قَادرٌ على أَن يَجعَلَ الخشَبَ أَمْلَس ، وأَنَّه يَمْلِكُ مَسامِيرَ ، وأَنَّه يَقْدرُ عَلى تَثْبيتِ أَجْزاءِ البابِ بالمسَامِيرِ ، وأَنَّ لديهِ خِبرةً فِي صِنَاعَةِ الأَبوَابِ . . فإِذا وجدنا ثُقْباً منتظماً فِي البَابِ (مَحَلَّ المفْتَاحِ) شَهِد

---

(١) سورة الطور : الآيتان (٣٥ ، ٣٦) .

لنَا ذَلَكِ بِأَنَّ الصَّانعَ لَدَيْهِ قُدْرَةٌ ، عَلَى ثَقْبِ البَابِ بِدِقَّةٍ وأن لديه إحكَاماً فى عَمَله ، وَهَكَذَا نَجِدُ كُلَّ شَىءٍ فِى الْمصْنُوعِ ، يَدَلُّ عَلَى قُدْرَةٍ ، أَوْ صِفَةٍ عِنْدَ الصَّانِعِ ، لأَنه لَا يُمكِنُ أَنْ يُوجَدَ شىءٌ فِى الْمصْنُوعِ إِلاَّ إِذَا كَانَ الصَّانِعُ يَملِكُ قُدْرَةً أَو صِفَةً تُمَكِّنُهُ مِنْ صُنْعِ ذَلِك الشَّىءِ .

وهَكَذَا سَنَجِدُ أَنَّ التَّفكُّرَ فى المَصْنوعِ يَدلُّنا عَلَى بَعْضِ صفاتِ صَانِعِهِ ، وَمِنْ هُنَا نَعرِفُ أَنَّ التَّفكرَ فى المَخْلُوقاتِ يدلُّ على بعضِ صِفَاتِ الخَالِقِ . . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَٱخْتِلٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيٰحِ ءَايٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ ءَايٰتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللهِ وَءَايٰتِهِ يُؤْمِنُونَ [1] ﴾ وإذا تَأَمَّلنَا وتَفكَّرنَا فِى المَخْلوقَاتِ فَستُعْلِمُنَا آياتُ اللهِ فِيها بِبَعضِ صِفَاتِ اللهِ سُبحَانَه ، قال

---

(١) «آيات» : علامات . «تصريف الرياح» : تقليبها فى مهابها وأحوالها . سورة الجاثية : الآيات (٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) .

تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ[1] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ[2] ﴾ .

---

(١) سورة يونس : الآية (١٠١) .
(٢) سورة الأعراف : الآية (١٨٥) .

الحيُّ الدّائِمُ

إنّ الطَّعامَ الَّذِىْ نَأْكله لا يَسْمعُ ، ولا يُبصِرُ ، ولا يَتَحَرَّكُ ، ولا يَنْمُو ، ولا يَتَنَفَّس ولَا يَتَزَوَّجُ وَلَا يَنَامُ ، ولاَ يَستَيقِظُ ، فإِذَا دَخلَ الطَّعامُ جِسْمَك أَصبَحَ جِسْماً حيًّا ، يتَّصِفُ بالأَوصافِ السَّابِقَةِ ، وكذلِكَ الحَالُ فِى طَعامِ الحَيوانِ ، وكَذلِكَ موادُّ الماءِ والتُّرابِ والهَواءِ الَّتى يتغذَّى بها النَّباتُ لَا تَنمُو ولا تُثمِرولا تَتَنَفَّس ولا تَتغذَّى . فإذا دَخَلَتْ جِسْمَ النَّباتِ تَحَوَّلَت إلى نَبَاتَاتٍ حَيَّةٍ ، ذَاتِ بَهْجَةٍ ، فَهذِه الحَياةُ التى تدُبُّ فِى كلِّ جِسْمٍ ، من نَباتِ أَو حَيَوانٍ أَو إنسانٍ ، فى كلِّ يومٍ ، وفى كُلِّ لَحْظَةِ ، تَشهَدُ أَنَّها مِنْ صُنعِ واهبِ الحياةِ .

ولَقدْ حَاوَلَ الإِنسَانُ أَنْ يَخلُقَ الحَياةَ ؛ فَباءَ بِالفَشَلِ الذَّرِيع ، وأَعلَنَ البَاحِثُون فِى الشَّرقِ والغَرْبِ عَجزَهُم عنْ خَلْقِ الحَياةِ . . وصدق الله القائل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ

شَــيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْــهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] . نَعمْ : وَالبَشرُ يَعجَزوُنَ عن استرِدَادِ أَىِّ شَىْءٍ يَأْخذهُ الذُّبابُ ، لأَنَّه بِمُجَرَّدِ أَخذِهِ يَصُبُّ عَلَيهِ مِنْ لُعَابِهِ ، فَيُحَوِّله مِن فَورْهِ شَيئًا آخرَ لاَ يُمكِنُ استِعَادَتُه .

إِنَّ الحَياةَ الَّتِى نُفِخَتْ ، وتُنفَخُ علَى الدَّوامِ فى الكَائِناتِ ، لا تَكُونُ إِلاَّ مِنْ الحَىِّ الدَّائِمِ سُبحانه .

وكُلُّ حَياة يُهدِّدُهَا الموتُ متى جاءَتْ أَسبابُه ، لكِنَّ خَالِقَ الأَسبَابِ لا تَضُرُّه الأَسبابُ ، فَهوَ الحَىُّ الدَّائِمُ الَّذى لَا يَموتُ . قال تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[3] .

---

(١) سورة الحج : الآيتان (٧٣ ، ٧٤) .
(٢) سورة الحديد : الآية (٢) .
(٣) سورة الفرقان : الآية (٥٨) .

العَـــلِيـــــمُ

إذا تَـأَمَّلْتَ فى أَجِنَّةِ الحَيَوانَاتِ ، سَتَرَى أَنَّ العُيُونَ تُخْلَقُ فى أَرحامِ الأُمَّهاتِ ، حَيثُ الظَّلامُ الشَّدِيدُ ، مَع أَنَّ العُيُونَ لا تَرَى إلَّا فِى الضَّوءِ ، فيَشهدُ ذَلك : أَنَّ الَّذى يَخلُقُ العُيونَ ، يَعلَمُ أَنَّ تِلْكَ الأَجِنَّةَ سَتخْرُجُ إلى عَالَم فيهِ النُّورُ ، وهكذا يَشْهَدُ خَلْقُ الأَجْنِحَة للطَّيورِ داخلَ البَيْض : أَنَّ الخَالِقَ يعلمُ أَنَّها سَتَطِيرُ فى الهواءِ ، فخلَقَ لهَا الأَجنِحَةَ قبلَ وِلادَتِهَا ، وَهكذا كلُّ مَخلوقٍ نَرى خَلْقَه وهو جَنِينٌ ، قَد أُعِدَّ بمَا يُناسِبُ ظُروفَ الحياةِ الَّتِى سَيَعيشُ فيها ، حَتى جَنينَ الشَّجرةِ (البذرَة) يُهيِّئه اللهُ بِجُزءٍ يُكَوِّنُ الأَوْراقَ والأَغْصانَ ، وجُزءٍ يَضْربُ فى الأَرْضِ لامْتِصَاصِ المَاءِ والتُّراب (الأَملاح) ، ولايَكونُ ذلك ؛ إلاَّ مِنْ صُنْع مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ النَّباتَ سَيَحتَاجُ إلى الماءِ ، والتراب ، والضَّوءِ ، والهواءِ .

وَإذا رَأَيتَ الذُّكُورَ تُخْلَقُ ، فستَرى أَنَّ الخَالِقَ قد عَلِمِ أَعْدَادَهَا ، فَخَلَقَ لهَا مِنَ الإِنَاثِ مَايُكافِئُ تِلْكَ الأَعْدادَ وسَيَشْهَدُ لَكَ ذَلِكَ أَنَّه مِنْ صُنع العَلِيمِ سُبحانَه ، قال

تعالى :﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وَالماءُ الْعَذْبُ إِذا كانَ رَاكِدًا تَعفَّنَ ، ولكِنَّ العَلِيمَ بِذَلِكَ جَعَلَ البِحَارَ مَالِحَةً ، وجَعَل مَوْجَهَا مُتَحرِّكاً ، حَتَّى لا تَفْسُدَ الحَيَاةُ عَلى الأَرْضِ بِعُفُونَةِ البَحْرِ .

هذَا وكلُّ مَا فى الكَون يَشْهَدُ : بِأَنَّ الخَالِقَ لهذَا الكونِ لا شَكَّ عَليمٌ بِما يَخلُقُ ، سُبحانَه ، وهو القائل : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2] . وعِلمُ اللهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شىءٍ لَم يَسْبِقْه جَهْلٌ ، ولا يدخل عليه نسْيان ، قال تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[3] .

---

(١) سورة الذاريات : الآية (٤٩) .
(٢) سورة الملك : الآية (١٤) .
(٣) سورة الطلاق : الآية (١٢) .

الحَكِيمُ

وإِذَا تَـأَمَّلْت فِى صُورِ المَخْلُوقَاتِ ، وَجَدتَ أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ يُحْكِمُه الخَالِقُ سُبحَانَه عَلى مِثَالِ واحدِ .

ففِى الإِنْسَانِ : العَيْنَان فِى الوَجْهِ ، والأَنفُ بَيْنَهُمَا ، وَاليَدَانِ فِى الجَانِبَينِ ، والقَدَمَانِ مِنْ أَسَفَلَ . وَلَا تَجِد أَنَّ عَيْنًا ، نَبَتَتْ لإِنسَانِ فِى رُكْبتِه ، أَو يَدًا ظَهَرتْ فِى رَأْسِه ، وهَذَا يَشْهَدُ أَنَّه مِنْ صُنْعِ الحَكِيمِ ، الَّذِى أَحْكَمَ خَلْقَ الإِنسَان . . وكَذَلِكَ كُلُّ جِنْسٍ مِنَ الحَيَوانِ ، أَوِ النَّبَاتِ ، قَد أَحْكَمَه رَبُّه ، عَلى صُورَة وَمِثَال وَاحِد .

فَمَنْ أَحْكَمَ هَـذِهِ الصُّورَةَ إِلاَّ القَائِلُ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٦) .

وَإِذَا تَـأَمَّلْتَ فِى الْهَواءِ الَّذِى تَتَنفَّسُهُ ، سَتَرَى ؛ أَنَّكَ تَسْتَهلِكُ الهَوَاءَ الصَّـالِحَ (الأُكسِجِين) ، وَتُحوِّلُهُ إلى هَواءٍ فَاسِدٍ (ثانى أُكسيد الكربون) ، ولَكِنَّ مِقْدَارَ الهَواءِ الصَّالِح لَا يَنْقُصُ ، لِأَنَّ الخَالِقَ ، أَمَرَ النَّباتَ ، أَن يُعَوِّضَ الهَواءَ الصَّالحَ ، بِقَدَرٍ مُحْكَمٍ ، بحَيثُ تَبقى نِسْبَةُ الهَواءِ عِنْدَ قَدرٍ مَعْلُومٍ ، لَا تَزِيدُ وَلَا تَنقُصُ ، أَلاَ يَشْهَدُ ذَلِك : أَنَّه مِن صُنْعِ العَلِيمِ الْحَكيمِ ؟!.

وإِذا نَظَرْتَ إِلَى أَنْفِك ، وجدتَهُ قدْ أُحْكِمَ لِيَتَناسَبَ مَعَ وَظِيفَتِه ، فَالهَواءُ يَدْخُلُ مِن ثُقْبَينِ بَيْنَ العَيْنَيْنِ ، لَكِنَّ العَلِيمَ الحَكِيمَ غَطَّى هَذَيْنِ الثُّقْبَينِ بِالأَنفِ ، وجَعَلَ النِّصفَ الأَعلَى مِنَ الأَنفِ عَظْماً ، حَتَّى لاَ تَضْغَطَ الرِّياحُ على هَذَا الغِطَاءِ ، فيسُدُّ الثُّقبَينِ ، فَيَمْتَنِـعَ التَّنَفُّسُ ، كَما يُشارِكُ عَظمَ الأَنفِ فِى حِمَايَةِ العَيْنَيْنِ . وَفَتَحَ الأَنفَ باسْتِمْرَارٍ لِدُخُولِ الهَواءِ ، إِذْ لَوْ كَانَ الأَنفُ كُلُّهُ مِنْ عِظَامٍ لَمَا تَمكَّنَّا مِن إِخْرَاجِ الْمُخَاط . وجَعَلَ الخَالقُ جِدَارَ الأَنفِ مَائلاً لِكَىْ يَصْطَدِمَ الهَواءُ بِالجِدَارِ المَائِل ، فَيَرُدَّهُ إِلى الْحَواجزِ الدَّاخِلِيَّةِ ، لِيَصْطَدِمَ بَها ، فَيُلَامِسَ الهَواءُ الدَّاخِلُ المُخَاطَ المُبَطِّنَ لِجدَار الأَنفِ ، فَتَلْتَصِق ،

به الجَرَاثيمُ ، والأَتربةُ ، فَيَتصَفَّى الهَواءُ قبلَ دُخُولِه . . وفى الشِّتَاءِ تَتَكَاثَرُ الدِّماءَ فى الأَنْفِ ، فَنَراهُ مُحْمَرًّا ، وذَلِكَ لِتَدْفِئَةِ الهَواءِ الدَّاخِلِ ، وفى الصَّيْفِ يَقومُ الأَنفُ بِتَرطِيبِ وتَبْرِيدِ الهَواءِ الجَافِّ ، أَو الحَارِّ .

أَلاَ يَشهَدُ ذَلك كُلُّه أَنَّه مِن صُنْعِ العَلِيمِ الحَكِيم ؟! .

وهَكذا : لَوْ تَأَمَّلْنَا فِى خَلْقِ كُلِّ شَىْءٍ فِى الأَرْضِ والسَّماءِ ، لوجَدْنَا أَنَّه قَدْ خُلِقَ فِى غَايَةِ الإِحْكَامِ .

والإِحْكامُ فى كلِّ شَىْءٍ ، يَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ، أَنَّه مِنْ صُنع الحَكِيم العَلَيم سُبحَانَه ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] .

---

(١) سورة الزخرف : الآية (٨٤) .

الخبـــــــــــير

تـأَمَّل إِلَى طَعامِك ؛ كَيفَ خَرَجَ مِنْ تُرابٍ ، ومَاءٍ واحد أَنواعاً مُختلِفةَ الثِّمارِ ، والأَلوَانِ : سَتَجِدُ ذَلِكَ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّه مِن صُنْعِ الخَبِيرِ الَّذى يُخْرِجُ مِنَ الأَصْلِ الوَاحِدِ أَنْواعاً مُخْتَلِفَةً مُتبَايِنَة فِى غَايَةِ الإِحْكَامِ ، وتَـأَمَّلْ إِلَى هَذَا الطَّعامِ : كَيفَ يُكَوِّنُ مِنه الخَبيرُ سُبحَانَه ، لَحْماً ، ودَمًا ، وعَظَما ، وشَحْمًا ، ولَبَنًا ، وجِلْدًا ، وشَـعَرًا ، وأَصَابِعَ ، وأَظَافِرَ ، وأَعصَابَ ، وسَـوَائِلَ مُخْتَلِفَة .

وتـأَمَّل إِلَى وَجْهِك ؛ كَيفَ يَخْرُجُ اللُّعَابُ من الفمِ والمُخَاطُ مِن الأَنْفِ ، والدَّمْعُ مِنَ العينَيْن ، والشَّمعُ مِنَ الأُذْنَينِ ، وكلُّ هَذِهِ الإِفرازَاتِ مِنْ طَعَامٍ واحدِ ! ! فيَشْهَدُ لك خلْقُهَا أَنها من صُنْعِ الخَبِير .

وَكَيفَ يَكُونُ الحَالُ لَو خَرَجَ اللُّعابُ مِنَ الأَنفِ ؟ ! والمُخَاطُ مِن الفَمِ ؟ ! والشَّمعُ مِنَ العَينِ ؟ ! والدَّمعُ مِنَ

الأُذن ؟ ! ، فَمنْ حَدَّدَ التَّركِيبَ ؟! ومنَ حَدَّدَ المَكانَ؟ أَلا هُوَ العَلِيمُ الخَبِيرُ الحَكِيم .

والنُّطفَة الَّتى خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْها ؛ جَعلَها الخَبِيرُ العَلِيمُ الحَكِيمُ أَعضَاءَ متَبايِنَةً ، وأَجْهِزةً مُحكَمَةً ، مُتعَاونةً ، لِخِدمَةِ الإِنسَان .

والسَّمَكُ فِى البَحْرِ يَحتَاجُ إِلَى الهَواءِ لِتَنفُّسِهِ ، فأَذابَ له الخَبِيرُ الرَّحِيمُ الهَواءَ ، مع قَطَراتِ المَطَرِ ، الَّتى تَنْزِلُ فِى البَحرِ ، وأَعدَّ السَّمكَ بِجِهَازٍ خَاصٍ (الْخَياشِيمِ) لِتَسْتَخْلِصَ بِه ذَلِكَ الهَواءَ الذَّائِبَ فِى المَاءِ .

وإِذَا تَفكَّرْتَ وأَمْعَنْتَ النَّظرَ وجَدتَ كلَّ شَىْءٍ فِى الكَوْن ، قَد صُنِع بِخِبْرَةٍ بالِغَةٍ ، تَشْهدُ لَكَ أَنَّها مِنْ صُنْع الخَبير سُبحانه .

الــــــرَزَّاقُ

عِندَمَا كانَ الإنسَانُ حَبِيساً فِى ظُلُمَاتِ الرَّحِمِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ بَشَرٌ أَنْ يَمُدَّهُ بِشَىءٍ ، مِنَ ماءٍ ، أَو غذاءٍ ، حَتَّى الأَبُ ، والأُمُّ الَّتِى هُوَ فى جَوفِهَا يتَخَلَّق ، لٰكِنَّ رَحْمَةَ رِبِّهِ الرَّزَّاقُ ، سَاقَتْ لَه الرِّزْقَ نَاضِجاً مَهْضُومًا ، مِن أُنْبُوبَةٍ هِىَ حَبْلُ السُّرَّةِ ، وعِندَما يَخْرُجُ الطِّفلُ وَيَنْقَطِعُ حَبلُ السُّرة ، يُخرِجُ الرَّزَّاقُ غِذَاءَ ذَلِكَ الوَلِيدَ مِنْ ثَدْىِ أُمِّهِ ، ويُلْهِمُهُ اسْتخْرَاجَ ذَلِك الغِذاءَ ، (اللَّبن) بِمَصِّ الثَّدْىِ ، وهوَ بَعْدُ لا يُبصِرُ ، ولا يَسمَع ، ولا يعقِلُ .

ثُمَّ يَرزُقُ اللهُ العِبَادَ ، مِنَ النَّباتَاتِ ، والأَشجَارِ ، الَّتِى تَصنَعُ الطَّعَامَ مِنَ المَاءِ ، والتُّرَابِ ، والهَواءِ ، ويُسَخِّرُ اللهُ الشَّمسَ للنَّباتِ ، لِإتْمَام صُنْع الغِذَاءِ الَّذى يَحْتَاجُهُ الإِنسانُ ، والحَيَوانُ ، وَما كانَ لِلغِذَاء أَن يُوفَّرَ ، لَولاَ أَنَّ اللهَ يَسُوقُ المَاءَ العَذبَ ، ويُهيِءُ التُّرْبَةَ الصَالِحةَ لِلزِّراعَةِ ، ويُوجدُ الجوَّ ، والظُّرُوفَ المُنَاسِبَةَ ، لِإنتَاجِ

الغذاءِ مِنَ النَّباتَاتِ ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ ٱلإِنْسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْباً * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[1].

فإذا أَكلَ الإِنسَانُ ، أَو الحَيَوانُ الطَّعَامَ ، وتَمَّ هَضْمُه بمَا خلَقَ اللهُ لِكُلِّ كَائنٍ مِنْ أَجهِزَةِ هَضْم ؛ سَاقه الرزَّاقُ إِلَى كُلِّ نُقطَةٍ فِى جَسْمِ الكائِن الحَىِّ سَواءٌ كَانَتْ فِى وَسَط الْمُخِّ ، أَو عَلَى سَطْح الجِلْدِ ، أَو مُخِّ العِظَامِ . . وصَدَقَ اللهُ القَائلُ : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾[2] .

إن الرَّزاقَ سُبحَانه ، قَدْ تَكَفَّلَ بِالأَرْزَاقِ ، فَسَاقَ رِزْقَ بَعضِ الأَسمَاكِ إِلَى أَعْماقِ البِحَارِ ، وسَاق رِزقَ بعضِ الدُّودِ ، إِلى جَوفِ الصَّخْر ، وسَاقَ رزقَ الأَجنَّةِ إِلى ظُلُمَاتِ الأَرْحَام ، وساقَ رِزْقَ جَنِينِ النَّبَاتِ ، إِلَى جَوْفِ

(١) قضباً : علفاً رطباً للدواب كالقضب وغيره . غلباً : بساتين عظيمة متكاثفة الأشجار . أباً : كلأ وعشباً أو التبن خاصة . سورة عبس : الآيات من (٢٤ — ٣٢) .

(٢) لجوا : تمادوا فى استكبار وعناد . سورة الملك : الآية (٢١) .

الْبَذْرَة . . قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[2] . وَمَن أَيقَنَ أَنَّ رِزْقَهُ مَوهُوبٌ لَهُ مِن خَالِقِهِ ، فَلَنْ يَقْدر أَحدٌ على سَلْبِهِ رِزقَهُ ولن يَخشَى عَلى رِزْقِه أَحدًا غيرَ الله .

---

(١) سورة هود : الآية (٦) .

(٢) سورة فاطر : الآية (٣) .

الهـــــادى

إذَا تـأَمَّلتَ فِى أَهْدَابِ الجَفْنِ الأَعلى فِى العَيْنِ ، وجَدتَّهَا تَنْحنِى إلى أَعْلَى ، وأَهْدَابِ الجَفْنِ الأَسْفَلِ ، تَنحَنِى إلَى أَسْفَل ، وَلَو انْعَكَسَ الأَمر لتَشَوَّشَ رُؤيةُ العَيْنِ . . فَمَنْ هَدَى وَيَهْدِى كلَّ شَعْرَةٍ فِى كُلِّ جَفْنٍ ، مِنْ إنْسَانٍ أَوْ حَيَوانٍ ، إلاَّ الهَادِى سُبحَانَه ؟ ! .

مَنِ الَّذى يَهْدِى أَسنَانَ الفَكِّ الأَسْفَلِ أَن تتَّجِهَ إلى أَعلى ، وأَسْنَانَ الفكِّ الأَعلى أَن تَتَّجِهَ إلى أَسفَل ؟ ! مَنِ الَّذِى هَدَى الأَنيَابَ أَن تَنْمُو فَوْقَ الأَنيَاب ؟ ! والأَسْنَانَ فَوْقَ الأَسْنَانِ ؟ ! والأَضْرَاسَ (المطاحن) فَوقَ الأَضرَاس ؟

منْ؟إلاَّ الهَادِى ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * والَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[1]

من يَهْدِى كُلَّ عُضْوٍ فى كُلِّ جِسْمٍ ، مِن نَباتٍ ،

---

(١) سورة الأعلى : الآيتان (٢ و ٣) .

أَو حَيَوَان ، أَو إِنْسَان ، إِلى أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَه الصَّحِيحَ ، بَيْنَ بَاقى الأَعضَاءِ ، وأَن يَنْمُوَ بِالْقَدْر المُنَاسِبِ لِبَاقِى الأَجْزَاءِ ؟ ! .

ومَنِ الَّذى يَهْدِى البَذْرَةَ (الحَبَّة) ، وهىَ تَشُقُّ التُّربَةَ عِندَ نُمُوِّهَا أَنْ تُرسِلَ العُرُوقَ (الجُذُورَ) إِلَى أَسْفَلَ ، والسَّاقَ والأَورَاقَ إِلَى أَعلَى ؟ ! . ولِمَاذَا لَمْ نجِدْ بَذْرَةً واحِدَةً ينعكِسُ الأَمرُ فِيهَا ؟ !

أَلَا يَشْهَدُ ذَلِكَ كلُّه لِكُلِّ صَاحِبِ عقل : أَنَّ ذَلِكَ مِن صُنْعِ الهَادِى سُبحَانَه .

مَن الَّذِىْ يَهدِى أَوْرَاقَ الشجرِ إِلَى التَوَزُّعِ عَلَى السَّاقِ ، أَوِ الْأَغْصَان ، فَإِذَا خَرجَتِ الوَرقَةُ الأُولَى مِنْ جِهَةٍ ، خَرَجَتِ الثَّانِيَةُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ؟!

مَنِ الَّذى يَهْدِى الشَّمسَ ، والْقَمَرَ ، والنُّجُومَ فى حَرَكَاتِهَا ، ويَهْدِى الطُّيُورَ الرَّحالةَ إِلَى بُلْدَانِهَا الْبَعِيدَةِ ؟ !

أَلَا هُوَ الْهَادِى ﴿ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأعلى : الآيتان (٢ و ٣) .

والَّذِى يَهْدِى الشَّعْرَةَ ، والْبَذْرَةَ والْوَرَقَةَ ، وأَكْملَ هِدايتهُ لِلإِنْسَانِ فأَرْسِل لَهُ الرُّسُل وأَبانَ لهُ الهُدى .

ومَنْ أَيْقَنَ أَنَّ اللهَ هُو الْهَادِى الْحَكِيمُ فَلَنْ يَقْبَلَ أَىَّ فِكْرَةٍ تُعارِضُ هُدَى اللهِ ، شِعارُه قولُ الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[1]

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١٧١) .

الحـــافـــظ

إنَّ الَّذى حَفِظَكَ مِنَ الأَخْطَارِ وأَنتَ تَتَخَلَّقُ فى بَطْنِ أُمِك . هُو الَّذى يَحْفَظُ المُخَّ الضَّعِيفَ بقفصٍ قَوىٍّ من عِظَام الجُمجُمَةِ ، وَيَحْمِى الْعَينَ بِعَظَامِ الْحَاجِبِ والْأَنفِ والْوَجنَةِ ، ويَحْمِى الْقَلبَ والرِّئَتَيْنِ بِالْقَفَصِ الصَّدْرِىّ .

إنَّه الَّذِى يَحْفَظُ حَيَاتَك . فيَسَّر لَكَ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ ، مِنْ طَعَامٍ ، ومَاءٍ ، وهَواءٍ ، وضوْءٍ ، وحَرَارةٍ وغَيْرِهَا.

إنَّهُ الَّذِى لَمْ يُكَلِّفْكَ بِإِدْخالِ الْهَواءِ إلى جِسْمِكَ ، أَو إِخْراجِه فِى نَوْمِك أَوْ يَقَظَتِك . ولَوْ كَلَّفَكَ ذَلِكَ ، لما تمكَّنتَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئاً ، غَيْرَ إدْخَالِ الْهَوَاءِ وَإِخْرَاجِهِ . فَإِنْ غلَبَكَ النَّوْمُ ، انْقَطعَ عَنْكَ الْهَواءُ ويَأْتِيكَ الْمَوْتُ .

إنَّ الْحَافِظَ هُو الَّذى يَسُوقُ السُّحُبَ فَوْقَ رَأْسِكَ ، فَلاَ يُنْزِلُهَا سُيولًا تَصُبُّ ، فتُهلِكُ الْحَرْثَ والنَّسْلَ .

إِنَّ الْحَافِظَ سُبحَانَه هُو الَّذى أَحَاطَ الْأَرْض بِغِلاف مِنَ الْهَواءِ يَمْنَعُ الْأَشِعَّةَ الْكَونِيَّةَ الْقَاتِلة الْقَادمَة مِن الشَّمْسِ والنُّجُومِ ؛ مِنْ أَنْ تُهْلِكَ الْحَيَاةَ وَالْأَحْيَاءَ ، وهُو الَّذى جَعَلَ غِلَافَ الْهَواءِ دِرْعًا وَاقِياً مِنْ تَدْمِير الشُّهُبِ ، والنَّيَازكِ الَّتى تَسْقُطُ عَلَى الْأَرضِ بِالْمَلَايين ، كلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَهُوَ الَّذى ثَبَّتَ الْأَرْضَ ، مِنْ أَنْ تَمِيدَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ! ! .

أَفَلاَ نَشْكُرُ لِلْمَولَى سُبْحَانَه : أَنْ حَفِظَنَا مِنْ دَاخِلِنا ، ومَنْ فَوْقِنَا ، وَمِنْ تَحْتِنَا ، وصَدَقَ اللهُ الْقَائِلُ : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾(١) .

وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ الله حَافِظُه . فَلا يَضُرُّه مَنْ فِى السَّمٰوات والأَرْضِ إلَّا بِما قدَّرَ الله لهُ ، شِعارُه قَوْلُ اللهِ : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾(٢)

---

(١) معقبات : ملائكة تتعاقب على حفظه فى الليل والنهار ، سورة الرعد : الآية (١١)

(٢) سورة التوبة : الآية (٥١) .

صفـــاتٌ أخـْـرى

وإذا تَـأَمَّلْتَ إلَى الطَّعَامِ الْوَاحِدِ ، تَـأْكُلُه الْأُسْرَةُ ، فَيتكَوَّنُ فِى جِسْمِ الرَّجُل رَجُلًا ، وفى جِسْمِ الْمَرْأَةِ امْرأَةً وَفى جِسْمِ الطِّفْلِ طِفْلاً . . فَإِذَا أَكَلُه الْهِرُّ تَحوَّلَ إلى جسم هرٍّ ، وَإِنْ أَكَلَهُ الفَـأْرُ ، أَو الْكَلْبُ ، كَانَ فَـأْرًا ، أَو كَلْبًا ، مَعَ أَنَّه نَفْسُ الطعَامِ . . فَسُبْحَانَ المُصَوِّرِ الَّذِى يُصَوِّرُ كَيْفَ يَشَاءُ .

وإذَا تَـأَمَّلْتَ إلَى حَنَانِ الْأُمِّ ، ورَحْمَتِها بِابْنِهَا ، سَوَاءً كَانَتِ امْرَأَةً ، أَمْ أُنْثَى حَيَوَانٍ ، وَجدتَ التَّضْحِيَةَ الْبَالِغَةَ تَظْهَرُ لَكَ حَتَّى إِنَّ الدَّجَاجَةَ الَّتِى تَخَافُ مِنْ صَوْتِ الطِّفْلِ تَنْتَفِشُ ، وَتُهَاجِمُ مَنْ أَرَادَ فِرَاخَهَا بِسُوءٍ.

إِنَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ الَّتِى تُحْمَى بِهَا صِغَارُ الْمَخْلُوقَاتِ تَشْهَدُ أَنَّهَا مِنْ صُنْعِ الرَّحِيمِ الرَّحْمٰن .

وإذَا تَـأَمَّلْتَ إلَى ضَخَامَةِ الْمَخْلُوقَاتِ : كَالنُّجُوم ،

الَّتِى هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أَرْضِنَا بِمَلاَيِينِ مَلاَيِينِ الْمَرَّاتِ ، وَتَأَمَّلْتَ إلى أَدَقِّ الْمَخْلوقَاتِ الَّتِى تَجتَمِعُ الْمَلاَيِينُ مِنْهَا فِى قَطْرَةِ مَاءٍ ، وَسَأَلْتَ نَفْسَك : كَيْفَ خَضعَتْ كُلُّ هَذه الْمَخْلُوقَاتِ ، لِسَيْطَرةٍ وَاحِدَةٍ ، ونِظَام مُحكَمٍ دَقِيقٍ؟! عِنْدَئِذٍ سَتَجِدُ الْإجَابَةَ : بِأَنَّ هَذَا مِنْ صُنْع الْقَوِىِّ الْمُهَيْمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالى .

الـواحـد الأحـد

ويُقَدِّمُ الْوُجُودُ كُلُّه شَهَادَةً بِأَنَّهُ مِنْ صُنْع الوَاحِدِ الْأَحَدِ .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ غِذَائَكَ ؛ يَتَوَقَّفُ عَلَى عَمَلِ الْمَعِدَةِ ، وَالْأَمْعَاءِ ، ويقُولُ الأَطبَّاءُ : إِنَّ عَمَلَ الْأَمْعَاءِ يتَوقَّفُ على عَمَلِ الدِّمَاءِ ، وَيَتَوقَّفُ دوْرُ الدِّمَاءِ عَلَى الْهَـواءِ وحَركَةِ التَّنفُّسِ ، وَيَتَوَقَّفُ الْهَوَاءُ الصَّالِحُ لِلتَّنَفُّس عَلَى عَمَـلِ النَّبَاتَاتِ ويتوقَّفُ عَمَلُ النَّبَاتَاتِ عَلَى وُجـودِ الشَّمْسِ ، وَوُجُودُ الشَّمْسِ يَتَوَقَّفُ عَلَى وَجُودِ الْكَواكِبِ المُحيطَةِ بِهَا والنُّجُومِ الْأُخْرَى . وَهكَذَا نَجِدُ : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَعْتَمِدُ فِى وُجُودِهِ وعَمَلِه عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَمَا رَأَيْنَا أَن الْمَعِدَةَ مُرتَبِطَةٌ بِنُجُومِ السَّمَاءِ ؛ وَذَلِك يَشْهَدُ أَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ صُنْعِ رَبٍّ وَاحِدٍ ، قَالَ تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1]

---

(١) سورة المؤمنون : الآية (٩١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[1]

وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ لَحَدثَ الصِّراعُ بَيْنَهُمْ عَلَى تَسْيِيرِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَعِنْدَئِذٍ يَدُبُّ الْفَسَادُ إِلَى الْأَرْضِ والسَّمَاءِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] .

---

(١) أحد : لامعبود سواه ولا رب غيره . الصمد : الغنى الذى يقصد فى الحوائج ولا يحتاج إلى أحد . سورة الإخلاص : الآيات (١ ، ٢ ، ٣).

(٢) سورة الأنبياء : الآية (٢٢) .

مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَاتِ؟

رَأَينَا مِمَّا سَبَقَ أَنَّنا إِذَا تَفكَّرنَا فِى الْكَونِ والْمَخْلوقَاتِ مِنْ حَولِنَا وَجَدْنَا أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ يَشْهَدُ بِأَنَّ خَالِقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ : الْخَالِقُ ، الْحَىُّ ، الدَّائِمُ ، الْعَلِيمُ ، الْحَكِيمُ ، الْخَبِيرُ ، الرَّزَّاقُ ، الْهَادِى ، الْحَافِظُ ، الْمُصَوِّرُ الرَّحِيمُ ، الْقَوِىُّ ، الْقَادِرُ ، الْمُهيمِنُ ، الْواحِدُ الْأَحَدُ .

وكما شَهِدَ الوجُودُ كُلُّه بِهَذِهِ الشَّهادَاتِ فإِنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ أَسْلَمَ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ وَرَدَّدَ هَذه الشَّهادةَ عَنْ عِلمٍ وَيَقِينٍ فَقَالَ : « أَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » .

وَإِذ كُنَّا عَرَفْنَا مِن الْقَاعدَةِ الْأُولَى : أَنَّ الْعَدَمَ لايَخْلُقُ شَيْئاً ، وَعَرَفْنَا مِنَ الْقَاعِدَةِ الثَّانِيَةِ بَعْضَ صِفَاتِ الْخَالِقِ ، فَإِنَّنا سَنَعْرِفُ مِنَ القَاعِدَةِ الثالِثةِ أَنَّه لَا يتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ .

القاعدةُ الثالثةُ: فاقِدُ الشَّيءِ لا يُعْطيهِ:

إِنَّ الَّذِى لا يَمْلِكُ مَالًا ، لَا يَطْلُبُ النَّاسُ مِنْهُ الْمَالَ ، والْجَاهِلَ لَا يَأْتِى مِنْهُ الْعِلْمُ ، ذلك لِأَنَّ فَاقِدَ الشَّىءِ لَا يُعْطِيهِ .

وَبِالتَّفَكُّرِ رَأَينَا الْعَلَامَاتِ ، والْآيَاتِ فِى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِى تُعَرِّفُنَا بِصِفَاتِ الْخَالِقِ سُبحَانَه ، وإِذَا عَرَفْنَا الصِّفَاتِ ، عَرَفْنَا الْمَوصُوفَ .

فَالَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ خَلَقَتْهُمْ ، خَالَفُوا الْعَقْلَ وحَارَبُوا الْحقَّ ، لأَنَّ الْكَونَ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَه حَكِيمٌ ، عَلِيمٌ ، خَبِيرٌ ، هَادٍ ، رزَّاقٌ ، حَافِظٌ ، رَحِيمٌ ، وَاحِدٌ أَحدٌ .

والطَّبِيعَةُ الصَّمَّاءُ الْجَامِدَةُ لا تَمْلِكُ عِلمًا ، وَلا حِكْمَةً ، وَلَا حَيَاةً ، وَلَا رَحْمَةً ، وَلا إِرَادَةً . فَكَيْفَ ظَنَّ الْجَاهِلُونَ هَذَا الظَّنّ ؟ ! وفَاقِدُ الشَّىءِ لَا يُعطِيهِ .

مَا هِى الطَّبيعَةُ ؟ :

الطَّبِيعَةُ هِى هَذهِ الْمَخْلُوقاتِ بِمَا هِى عَليه مِنْ صِفاتٍ ، وَلَقَدْ عَبدَ الْوَثَنِيُّونَ أَجْزاءً مِنَ الطَّبيعَةِ مِثْلَ : الشَّمْس ،

وَالْقَمَرِ ، وَالنُّجُومِ ، وَالنَّارِ ، وَالْأَحْجَارِ ، والإِنْسَانِ . وَيَتَوهَّمُ الْوَثَنِيُّونَ الجُدُدُ (الطَّبِيعِيُّونَ) أَنّ مَجْمُوعَ الأَوثَانِ السَّابِقَةِ (الطَّبِيعَةِ) هِىَ الَّتِى خَلَقَتْهُمْ ، مَعَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَمْلِكُ عَقْلاً ، وَلَهُمْ عُقُولٌ ؟ ! ! وَلا تَمْلِكُ عِلمًا ، وَلَهُمْ عِلْمٌ !!! وَلَا تَمْلِكُ خبْرةً ، وَلَهُمْ خِبْرَةٌ!!! وَلَا تَمْلِكُ إِرَادَةً ، وهم إِرَادةٌ ! ! ! أَمَا علِمُوا أَنَّ فَاقِدَ الشَّىءِ لا يُعطِيهِ ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢]

---

(١) سورة الحج : الآيتان (٧٣ ، ٧٤) .

شُبْهَةٌ وَرَدٌّ

يَزْعُمُ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ بِأَنَّ الطَّبِيعَةَ هِيَ الَّتِي تَخْلُقُ الْمَخْلُوقَاتِ . وَيَسْتَدِلُّونَ عَلى ذَلِكَ بِمَا يُشَاهَدُ مِنْ تكوُّنِ الدُّودِ عَلَى بقَايَا وفَضَلاتِ بَعْضِ الْحَيَوانَاتِ وَالْإِنْسَانِ ! .

وَلَقَدْ تَقَدَّمَ الْعِلْمُ وَكَشَفَ لِلنَّاسِ أَنَّ هَذَا الدُّودَ الَّذِي يَتَكَوَّنُ عَلَى الْفَضَلاَتِ وَغيرِهَا قَدْ جَاءَ مِنْ بَيْضٍ صَغِيرٍ لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ ، وَأَمْكَنَ مُشَاهَدَتَهَا بِالْمُكَبِّرَاتِ (الْمَجَاهِرِ أَو المايكرسكوبات) وَسَقَطَتْ شُبْهَةُ الْمَلَاحِدَةِ فِى هَذَا الْبَابِ .

ولَكِنَّهُم عَادُوا وَقَالوا : إِذَا كَانَ الدُّودُ قَدْ جَاءَ مِنْ دُودٍ سَابِقٍ عَنْ طَرِيقِ الْبَيْضِ الصَّغِيرِ الَّذى لَمْ نَرَهُ ، فَإِنَّ الْجَرَاثِيمَ الَّتِى تُعَفِّنُ الْأَطعِمَةَ وتُفسِدُهَا قَدْ جاءَتْ مِنْ الطَّبِيعَةِ ، وَلَمْ تُولَدْ مِنْ جَرَاثِيمَ سَابِقَةٍ ، وَلَكِنَّ هَذه الشُّبْهَةَ أَيضاً دُحِضَتْ قَبْلَ أَكْثَر مِنْ ثَمَانِينَ عَاماً عِنْدَمَا اكْتَشَفَ الباحِثُونَ طَرِيقَةً يَحْفَظُونَ بهَا الطَّعَامَ دُونَ أَنْ

يَتَعَفَّنَ ، وَذَلِك بِعَزْلِ الطَّعَامِ فِي عُلَبٍ مُحكمةٍ تُقْتَلُ فِيهَا الْجَراثِيمُ بِالْحَرَارَةِ ، أَوِ الْأَشِعَّةِ ، وتُعْزَلُ عَنِ الْهَوَاءِ حَتَّى لَا تَأْتِيَ جَرَاثِيمُ جَدِيدَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْهَواءِ . وَبِهَذَا عَرَفَ النَّاسُ أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ تَأْتِي مِنْ مَخْلُوقَاتٍ سَابِقَةٍ ، وَلَا تَتَولَّدُ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَمَا يَزْعُمُ الجَهَلَةُ مِنَ الْمُلْحِدِينَ.

وإِنْ تَعْجَبْ أَيُّهَا الْمسْلِمُ فَمِنْ زُعَمَاءِ الإِلْحَادِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحَقَائِقَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ عَامًا ، ولكِنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى نَشْرِ هَذهِ الْجَهَالاَتِ لِتَرْوِيجِ الإِلْحَادِ الَّذِى لَا يَعِيشُ إِلَّا مَعَ الجَهْلِ ! ! . .

الرَدُّ عَلى ضَـلالاتِ النَّصارَى

عِنْدَمَا نَجَّى اللهُ عِيسَى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مِنْ كَيدِ أَعْدَائِهِ ، وَرَفَعَهُ إِلَيه ، وَقَعَ بَاقى الْعُلَمَاءِ مِن النَّصَارَى تَحْتَ إِرْهَابِ الرُّومَان ، فَاخْتَفَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وقُتِل آخرُونَ ، فَشَاعَ الْجَهْلُ بَيْن النَّصارى ، وضَاع إِنْجيلُ عِيسَى ، فَاسْتَبْدَلُوهُ بِأَنَاجيلَ مِنْ تَأْلِيفِهِمْ ، وكَتَبَ كلُّ مُؤَلِّفٍ اسْمَهُ عَلَى إِنْجيلهِ الَّذى يَخْتَلِفُ عَن بَاقى الْأَنَاجيل وَأَصْبَحَ لَدَيهِمْ عَدَدٌ مِنَ الْأَنَاجيل ، مِثْل : إِنجيلِ مَتَّى ، إِنْجيلِ يُوحَنَّا ، إِنْجيلِ مَرْقُص ، إِنْجِيلِ لُوقَا ، إِنْجِيلِ بَرْنَابَا ، حَتَّى بَلَغَ عَدَدُ الْأَنَاجِيل أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ إِنْجِيلًا ثمّ اخْتَارُوا فِى مُؤتَمرٍ نَصْرَانِىٍّ أَرْبَعَةً مِنْ هَذهِ الْأَنَاجِيلِ ، وأَحْرَقُوا مَا بَقِىَ ، وَزَعمُوا : أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَة ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنُ اللهِ .. تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً . . . ثُمَّ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ ، فَأَصْبَحُوا يَعْتَقِدُونَ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ ، وَهُوَ أَنَّ الله وَاحِدٌ ، وَأَنَّه ثَلَاثَةٌ فى نَفْس الْوَقْتِ .

قَالَ الْبُوصيرى :

جَعَلُوا الثَّلاَثَةَ وَاحِدًا ولَوِ اهْتَدَوْا
لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الكَثِيرَ قَلِيلاً

وَيَزْعمُونَ : أَنَّ اللهَ (أَىْ عِيسَى) مَاتَ مَصلُوبًا ، مَعَ اعتِقَادِهِمْ أَنَّ المَلاَئِكَةَ لاَتَموتُ ، وأَنَّ البَشَرَ (الْيَهُودَ والرُّومَانَ) هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عِيسَى. ويُقَرِّرُونَ فى أَناجِيلِهِمْ أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعَ الْمَسِيحِ وَجَدُوهُ حَيًّا ، بَعْدَ حَادِثَةِ الصَّلْبِ وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ . . وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ ٱللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزًا حَكِيماً ﴾[١] .

وأَمَّا قَوْلُهُم : أَنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ ، مِمَّا يَدُلَّ - بِزعْمِهِمَ - عَلَى أَنَّ اللهَ أَبَاهُ ، فَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢] . وَقَدْ بَيَّنَ الْمَولَى سُبْحَانَه : أَنَّ عِيسَى بَشَرٌ كَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَمَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ احْتَاجَ

---

(١) سورة النساء : الآيتان (١٥٧ ، ١٥٨) .
(٢) سورة آل عمران : الآية (٥٩) .

لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ رباً مَنْ تَحْكُمه ضَرُورَاتُ الطَّعَامِ ، والشَّرَابِ ، وقضاءِ الحاجة ؟ ! قالَ تَعَالَى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة : الآية (٧٥) .

مُجِيبُ المُضْطَرِّ إِذَا دَعَاه

ويُمْكِنُ لِكُلِّ إنْسَانٍ أَيضاً ، أَنْ يَعرِفَ رَبَّه عَنْ قُربٍ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ مُشَاهَدَةِ إجابَةِ اللهِ للدُّعاءِ ، فَكَمْ خَرَجَ الْمُؤْمِنُونَ يَطْلُبُونَ - بقُلُوبٍ وَجِلَةٍ تَائِبَةٍ - مِن رَبِّهِمْ أَنْ يَسْقِيَهُمُ الْغَيْثَ ، فَكَانَ الْجَوابُ عَلَى الْفَور فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، ويَأْتِى الْغَيْثُ إلَى الْقَرْيَةِ أَو الْمَدِينَةِ الَّتِى خَرَجَتْ تَدْعُو ربَّهَا ، وَالْقُرَى والْمُدُنُ الَّتِى بِجِوَارِهَا لَا يَأْتِيهَا شَىْءٌ ، وَكَمْ رَأَى الْمُضْطَرُّونَ تَفْرِيجاً لِحَالَةِ الْكَرْبِ بِدُعَائِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَمْ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَفَافْ
فَنَفَرُوا ثِقَالَهُمْ مَعَ الْخِفَافْ
وَطَلَبُوا مِنَ الإِلَٰهِ الْفَرَجَا
فَحَقَّقُوا الْفَوْزَ وَنَالُوا الْمَخْرَجَا
فَهَلْ طَبِيعَةٌ أَجَابَتْ أَمْ وَثَنْ
أَمْ أَنَّهُ السَّمِيعُ كَشَّافُ الْمِحَنْ

---

(١) سورة النمل : الآية (٦٢) .

مَوقِفُ الْكَافِرينَ مِنْ أَدِلَّةِ الْإِيمَان :

إنَّ أَدِلَّةَ الْإِيمَانِ بِاللهِ كَثِيرَةٌ ، وَعَدَدُهَا كَعَدَدِ مَخْلُوقَاتِهِ ، لأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ يَدُلُّ عَلَى صِفَاتِ خَالِقهِ ، لَكِنَّ الْكَافِرِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَرِيضَةٌ ، لَيْسَتْ صَالِحَةً لاسْتِقْبَالِ الْهُدَى ، كَمَا هُوَ حَالُ الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ -كَمَا بيَّنَّا سَابِقًا - فَتَرى الْكَافِرَ : مُعْرِضاً عَنْ آيَاتِ اللهِ ، ويُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[1] .

وَتَرَاهُ يُكَابِرُ فِى آيَاتِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[2] . وتراه يُلْبِسُ الْحَقَّ بِالبَاطِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] . وَتَرَاهُمْ يَصُدُّونَ

---

(١) « بغير علم » : وهو الدليل العقلى الضرورى « ولا هدى » : وهو الدليل العقلى الاستدلالى . « ولا كتاب منير » : وهو الدليل النقلى من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - سورة الحج : الآية (٨) .

(٢) سورة النمل : الآية (١٤) .

(٣) « ولا تلبسوا » : لاتخلطوا . سورة البقرة : الآية (٤٢) .

عَن سَبيل اللهِ ، قَالَ تعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيل ٱللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلٰلاً بَعِيدًا ﴾[1]

التَّقْلِيدُ فِى الْكُفْرِ :

وَمِنْ أَهمِّ سِمَاتِ الْكَافِرِينَ : أَنَّهُمْ -وَهُمْ يَرْفُضُونَ الْإِيمَانَ بِأَدِلَّتِهِ السَّاطِعَةِ - يَسْتَبدِلُونَ بهِ الْكُفْرَ بدُون دَليل ، اللَّهُمَّ إِلَّا التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى، قَالَ تعَالَى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللهُ وَإِلَى ٱلرَّسُول قَالُوا حَسْبُنَا مَاوَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَايَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2] .

افْتِرَاءُ الشُّبُهَاتِ :

وَمِنْ أَسَالِيب الْكَافِرِينَ لِصَدِّ الْمُؤْمِنِينَ : افْتِرَاءُ الشُّبُهَاتِ ، الَّتى قَدْ تُؤَثِّر فِى مَنْ يَجْهَلُ عَقِيدَتَه ، وَلَمْ يَتَحَصَّنْ ضِدَّ شُبُهَاتِ الْمُلْحِدِينَ .

---

(١) سورة النساء : الآية (١٦٧) .

(٢) « حسبنا » : كفانا ماكان عليه الآباء والأجداد ، وإن كان هو الضلال والكفر والجهالة بدلا من الإيمان والهداية والعرفان الذى جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سورة المائدة الآية (١٠٤) .

وَمِنْهَا : أَنَّ الْمَلَاحِدَةَ الْيَوْمَ يُرَدِّدُون مَاقَالَهُ بَنُو إِسْرائيلَ لِمُوسَى ، كَمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[1] مَعَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بوُجُود الْعُقُولِ الْمُفكِّرَةِ وَبوُجُودِ الْهَوَاءِ وبالجَاذبيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتى تَجْذِبُ كلَّ شَيْءٍ إِلَى الْأَرْض ، وبِأَمْوَاجِ الْإِذَاعَةِ تَأْتِيهمْ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ ، وَهُمْ مَا شَاهَدُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَكِنَّهُمْ رَأَوْا آثَارَ الْعُقول قَدْ ظَهَرَتْ على سُلُوكِ الْعُقَلَاءِ ، وآثَارَ الْهَواءِ ظَهَرَتْ بتَحْرِيك أَغْصَان الْأَشْجَار وَغَيرهَا ، وَآثَارَ الجَاذبِيَّةِ ظَهَرَتْ بِجَذْبِ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَآثَارَ الْأَمْوَاج ظَهرَتْ أَصْوَاتاً فِي جِهَازِ الْمِذْيَاعِ (الرَّاديُو) فآمنُوا بِالْعُقُولِ والهَوَاءِ ، والْجَاذِبِيَّةِ ، والْأَمْواجِ ، بَعْدَ أَنْ شَاهَدُوا آثَارَها ، فعِنْدَمَا عَجزتِ الْأَبْصَارُ عَنِ الرُّؤْيةِ ، لِضَعْفِهَا ، عَلِمَتِ الْعُقُولُ بِوُجُودِ الْمُؤَثِّرِ مِنْ آثَارِهِ الْمُشَاهَدَة . وَلَو تَخلَّى الْكُفَّارُ عَنِ اسْتِكْبَارِهِمْ بِأَبْصَارِهِم الضَّعِيفَةِ ، الْعَاجزَةِ ، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ ترى الْهَواءَ

---

(١) « جهرة » : عياناً بالبصر . سورة البقرة : الآية (٥٥) .

الَّذى يُلامِسُها ، وَلَا تَرَى مَنْ فِى خَارِجِ الْمَكَان ، وَتفَكَّرُوا ؛ لَوَجَدُوا : أَنَّهُم وَمَا فِى الْكَونِ ، مِنْ أَرْضِهِ . وَسَمائِهِ ، لَيْسُوا إِلَّا آثَاراً ، وآياتٍ بيِّنَاتٍ تُعَرِّفُهُمْ بِخَالِقِهِم سُبْحَانَهُ .

إنَّ الْبَصَرَ الضَّعِيفَ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِرُؤْيَةِ النُّجُومِ ، وَهِيَ : (زِينَةُ السَّماءِ الدُّنْيَا) فَكَيفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِالَّذِى عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى ، « وَمَا السَّمواتُ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ لِكُرْسِيِّهِ ؛ إِلَّا كَسَبْعَةِ دَرَاهِمَ فِى تِرْسٍ[1] ، وَمَا الْكُرسِى بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرْشِ إِلا كَحلْقَةٍ فِى صَحْرَاءَ » .

وَإِذَا كَانَ بَصَرُ الْإِنسَانِ فِى هَذه الدُّنْيَا لَا يَحْتَمِلُ النَّظَرَ إِلَى الشَّمْسِ مُباشَرَة ، فَكَيفَ يَتحمَّلُ النَّظرَ إِلَى نُورِ اللهِ جَلَّ وَعَلا ؟ !

ولو تجلَّى اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِى الدُّنْيَا ، لَأَسِرَهُمْ ذَلِكَ التَّجَلَّى ، وَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا عِنْدَئذ تَصْلُحُ دَارَ ابْتِلَاءٍ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِندَئذٍ يَكُونُ إِجْبَارِيًّا ، وَلَا مَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ لِلاخْتِبارِ أَو الامْتِحَان .

---

(١) الترس : الدرقة التى يتقى بها الفارس ضربة السيف .

وقديماً طَلَبَ مُوسَى - عَليهِ السَّلاَمُ - رُؤْيةَ ربِّه ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً ﴾[٢] .

والنَّاسُ جَمِيعًا بما فيهم الكفار يُصدِّقونَ الْأَطِبَّاءَ ، والْخُبَرَاءَ ، والأَسَاتِذَةَ ، وهُمْ يُخبِرونَهُمْ بِأُمُورٍ مَاشَاهَدَتْهَا أَبْصَارهُمْ ، ذَلِكَ لِأَنَّ المُخْبِرِينَ أَهْلُ ثِقَةٍ عِنْدَ السَّامِعينَ .

وَلَو تَركَ الْكَافِرُونَ الاسْتِكْبَارَ ، لَعَرَفُوا رَبَّهُم أَيضاً ، عَنْ طَرِيقِ رُسُلِه الصَّادِقينَ ، الَّذينَ قَدَّمُوا مِنَ المُعْجِزَاتِ ، والبيِّنَاتِ مَا يَجْعَلُهُمْ أَوثَقَ أَهلِ الْأَرضِ فِيمَا يَقُولُونَ عَن ربِّهِم .

اشْتِرَاطُ الْإِجابَة :

وَهُنَاكَ مَنْ يَشْتَرِطُ لِإِيمَانِهِ بِاللهِ ، أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لِمَا يَقْتَرِحُه مِنْ مُقترحَات ، كَأَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ : إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ أُومِنَ بِهِ ؛ فَعَلَيهِ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا ، وَكَذَا . . وَهَذَا شبِيهُ بِقَوْلِ الْكَافِرِينَ ، كَمَا حَكَى عَنْهُمُ الْقُرآنُ : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعًا *

---

(٢) « تجلى » : أي ظهر له شيء من نوره تعالى . « دكاً » : مدكوكاً متفتتاً . « صعقاً » : مغشياً عليه . سورة الأعراف : الآية (١٤٣) .

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾[1] .

وَلَوْ جَعَلَ اللهُ الطَّرِيقَ إِلَى الْإِيمَانِ ، هُو : أَنْ يَسْتَجِيبَ سُبْحَانَه لِمُقْتَرِحَاتِ النَّاسِ ؛ لَوَجَدْنَا مَنْ يَشْتَرِطُ لِإِيمَانِه أَنْ يَجْعَلَ اللهُ اللَّيلَ نَهاراً ، والشَّمْسَ قمراً ، والأَرْضَ سَمَاءً ، والرِّجَالَ نِسَاءً ، ونَجِدُ غيرَهُ يَشْتَرِطُ عَكْسَ ذَلِكَ؟ وَثَالِثًا يَشْتَرِطُ لِإِيمَانِه : قَتْلَ فُلَانٍ مِنَ النَّاسِ ، وَمَوْتَ فُلَانٍ ، وَهَلَاكَ الْبَلْدَةِ الْفُلَانِيَّة !! وَرَابِعاً بِعَكْسِهِ !! وَعِندَئِذٍ تَفْسُدُ الْأَرْضُ ، والسَّمَاءُ ، قَالَ تَعالَى : « وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[2] .

لَقَدْ أَقَامَ اللهُ الدَّلَائِلَ الْكَافِيَة فِى مَخْلُوقَاتِه ، وَخَلَقَ لَنَا أَسْمَاعاً ، وأَبْصاراً ، وَأَفْئِدَةً نَعْرِفُ بِهَا تِلْكَ الدَّلَائِلَ ، وَبِهَذَا تَقُومُ الْحُجَّةُ وَتَسْقُطُ الشُّبُهَاتُ .

---

(١) « ينبوعاً » : عيناً لاينضب ماؤها . « كسفاً » : قطعاً . « قبيلا » : مقابلة ومعاينة ، سورة الإسراء : الآيات (٩٠ – ٩٢) .

(٢) سورة المؤمنون : الآية (٧١) .

مَعْرِفَةُ اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

أَهَمِّيةُ مَعْرِفَةِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ :

إِذَا قِيلَ لَكَ : إِنَّ فُلاَنًا مِنَ النَّاسِ كَرِيمٌ ، وإِنَّ مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّه : يُعْطِي مَنْ طَلَبَهُ ؛ فَأَنْتَ عِنْدَئِذٍ سَتَطْمَعُ فِى عَطَائه ، وَتُقَدِّرُهُ فِى نَفْسِكَ ، وتَنْتَفِعُ بِمَعْرِفتك لِهَذِهِ الصِّفَةِ عِنْدَ حَاجَتكَ ، وَالعَكْسُ لَوَ عَلِمْتَ أَنَّهُ بَخيلٌ . وَإِذَا قِيلَ لَكَ : إِنَّ الحُكُومَةَ عَادِلَةٌ فِى أَحْكَامِهَا ، تَهْتَمُّ بِمَنْ يَسْكُنُ دَاخِلَ بِلاَدِهَا ، وتُعَاقِبُ مَن يُخَالِفُ نِظَامَهَا ، فَسَتَرَى النَّاسَ يَسْلُكُونَ دَاخِلَ تِلْكَ الدَّولَةِ بِمَا يَجْعَلُهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِمَا تَمْنَحُهُ الدَّولَةُ مِنْ خَدَمَاتٍ ، وبِمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ العَدْلِ ، وَاحْتِرَامَ النِّظَامِ ، وَتَرَى النَّاسَ يُحبُّونَ تِلْكَ الحُكُومَة بقَدْرِ مَا تَمْتَازُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الخَيْرِ ، كَمَا تَرَاهُم يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ لَا يُعَرِّضُوا أَنْفُسَهُم لِلْعِقَابِ والتَّأْدِيبِ .

« ولِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلى » . فَمَنْ يَعْرِفُ صِفَاتَ رَبِّهِ سُبْحَانَه وأَسْمَاءَه الحُسْنَى تَتَّسِعُ دَائرةُ مَعْرِفَتِهِ بِمَنْ بيَدِهِ مَلَكُوتُ

السَّماواتِ وَالأَرْضِ ، فَتَرَى سُلُوكَهُ وسَعْيَهُ مُتَنَاسِباً مَعَ عِلْمِهِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وصِفَاتِهِ ، أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيقُولُ عَنْهُمُ اللهُ تعَالَى : ﴿ مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

ولَقَدْ حَذَّرَ القُرآنُ مِنْ تَحْرِيفِ أَسْمَاءِ اللهِ ، فقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَٰئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] . كَمَا حَذَّرَ القُرآنُ مِنْ وَصْفِ اللهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبحَانَه . فَقَالَ : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3] .

---

(١) « ماقدروا الله » : ماعظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته . « عزيز » : غالب لكل شيء ولا يغلبه شيء . سورة الحج : الآية (٧٤) .

(٢) « يلحدون » : يميلون بأسمائه إلى غير الصواب ، أو يسمون بأسمائه غيره . سورة الأعراف : الآية (١٨) .

(٣) سورة المؤمنون : الآية (٩١) .

الـوَحْيُ الطَّـرِيـقُ الأَمْثَـلُ لمعْرِفَةِ أسمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِـه

إِنَّ عِلْمَ الإِنسَـان بمَخْلوقَاتِ الله مَحـدُودٌ ، وَهُـوَ لَا يَستَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِالله عِلْماً .

فَالْسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ بِالنِّسبـةِ لِلكُرْسِيِّ كَسَبْعَةِ دَرَاهِمَ فِي تِرسٍ ، وَالكُرسِيُّ بِالنِّسبَـةِ لِلعَرْشِ كَحَلْقَةٍ رُمِيَتْ فِي فَلَاةٍ (صَحْرَاءَ) ، و ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[١] وعِلْمُنَا لَا يَكَادُ يَبلُغُ حُدُودَ النُّجُومِ الَّتِي هِيَ زِيْنَةُ السَّماءِ الدُّنْيَا ، لِذَلِكَ لَا نَستَطِيعُ أَنْ نُحِيطَ بِاللهِ عِلْماً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ »[٢]. فَلَا نَعْرِفُ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، إِلَّا بِتَعْلِيْمٍ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - ، وَقَدْ جَاءَنَا مِنَ اللهِ البَيَانُ ، والعِلْمُ ، فَعَرَّفَنَا - سُبحَانُه - بِنَفْسِهِ وبِأَسْمَائِه ، وَصِفَاتِهِ ، فَنَقِفُ عِنْدَهَا وَنُمَجِّدُهُ - سُبحَانَهُ - بِذِكْرِها

(١) « استوى » : استواء يليق بجلاله وعظمته تعالى . سورة طه : الآية (٥) .

(٢) « لايؤوده » : ولا يثقله ولايشق عليه . سورة البقرة الآية (٢٥٥).

تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ مُشَابَهَتِهِ لِلْخَلْقِ :

وَعِندَ مَا يُقَالُ : المَلِكُ الفُلَانِىُّ كَرِيمٌ ، وَالبَوَّابُ الَّذِى مَعَهُ كَرِيمٌ ، وطِفْلُهُ كَرِيمٌ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ السَّامِعَ سَيُفَرِّق : بَينَ المَلِكِ ، وبَوَّابِه ، وطِفْلِه ، وَذَلِكَ بِالرَّغْمِ أَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ بَنِى آدَمَ ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ : اللهُ كَرِيمٌ ، فَلَا شَكَّ أَنَّكَ سَتَعْلَمُ أَنَّ كَرَمَ المَولَى - جَلَّ وَعلَا - لَا يُشَابِهُهُ شَىْءٌ مِنْ كَرَم عِبَادِهِ ، المَمْلُوكِينَ الضُّعفَاءَ .

وَهَكَذَا فى كِلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ سُبحَانَه ، فَعِلْمُه لَيسَ كَعِلْم عِبَادِهِ ، وحِكْمَتُهُ لَيستْ كَحِكْمَةِ المَخْلُوقِينَ ، ورحمتُهُ بِالمؤمنينَ ، وَانتِقَامِهِ مِنَ الكَافِرِينَ لَيْسَ كَرَحْمَةِ وَانْتِقَامِ عِبَادِهِ المَخْلوقِينَ . كُلُّ ذَلِك وغَيْرُه لَهُ فِيهِ الكَمَالُ الأَعلَى ، وَلَا يُشْبِهُهُ فِيهِ أَحَدٌ ، قَالَ تَعالَى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فَالنَّقْصُ يَلْحَقُ غَيْرَهُ وَلَهُ الكَمَالُ وَحدَه .

---

(١) سورة الشورى : الآية (١١) .

الإيمانُ بأسْماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ كَما جاءَتْ في الكِتابِ والسُّنَّةِ

وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَينَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِهِ وحِكْمَتِهِ ، قَدْ عَرَّفنَا بِنَفْسِهِ فِى كِتَابِهِ ، وسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، فَعَرَّفَنَا أَنَّه : لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ، وصِفَاتُ الكَمَالِ العُلْيَا ، ولَا يُمْكِنُ لأَحدٍ أَنْ يَصِفَ اللهَ بِأَحْسَنَ وَأَفْضَلَ مِمَّا وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ ، كَما أَنَّه لَا يُمكِنُ لِأَحَدٍ مِنَ المُؤمِنِينَ أَن يَنْتَقِصَ مِن صِفَاتِ اللهِ الَّتِى وَصَفَ نَفْسَهُ بِهَا سُبْحَانَه .

اسْتِحَالَةُ إِدْرَاكِ الْكَيْفِ[1] :

بالأَدلَّةِ الْعَقليَّةِ والنَّقلِيَّةِ نَعرِفُ أَنَّاللهَ غَيْرُ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَلَابُدَّ أَن تَكُونَ صِفَاتُه مُخْتَلِفَةً عَنْ صِفَاتِ مَخْلُوقَاتِه ،

---

(١) جاءت امرأة إنجليزية أسلم زوجها ، على يد الشيخ عبد الله الحكيمى ، تجادل الشيخ ، فقالت : إنها لا تؤمن بالله ، إلا إذا رأت الله -أستغفر الله- بطوله ، وعرضه ، فقال الشيخ الحكيمى : وهل تحبي زوجك هذا ؟

قالت : نعم .

قال : أنا لا أصدق .

قالت : ولماذا ؟

قال : لا أصدق أنك تحبي زوجك إلا إذا رأيت : كيف هذا الحب ؟ وكم رطلا يزن ؟ وما لونه ؟ وما طوله ؟ وما عرضه ؟ . =

فَكُلُّ المَخْلُوقَاتِ نَاقِصَةَ الصِّفَاتِ ، وَهُو سُبْحَانَه ، صَاحِبُ الكَمَالِ .

وَلَقَدْ جَاءَنَا مِنْهُ الوَصْفُ والبَيَانُ ، فَنُؤْمِنُ بِه كَمَا وصَفَ نفسَه فِى كِتابِهِ العزيز وكَمَا جَاءَ فى سُنة رَسُولِهِ ـ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ ـ دون سُؤال عن الكَيْف ، قال تعالى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] . فَهُوَ سَمِيعُ ،وَهوَ بَصِيرٌ وَلَكِنَّ سَمْعَهُ لَيْس كَسَمْعِ مَخلُوقاتِهِ ، وبَصَرَهُ لَيْسَ كَبَصَرِ مَخْلُوقَاتِه ، وَلاَ نَسْتَطِيعُ الإِحَاطَةَ بِهِ ، وَهُوَ الكَبِيرُ المُتَعَال .

العَقْلُ وَالتَّصَوُّر :

وَلَقَدْ خلَقَ اللهُ لِلإِنْسَانِ عَقْلاً يَعْقِلُ بِهِ الحَقَائقَ ، ويَعْرِفُ بِهِ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ ، والضَّارَّ مِنَ النَّافِعِ ،

= قالت : إن الحب موجود ، ولكنا لا نستطيع أن نعرف كيفيته .
قال :ـ ولله المثل الأعلى ـ فنحن نؤمن به وهو أعلى من أن نحيط به علماً. وكم من الأمور نؤمن بها ولا ندرك كيفيتها ، فهذا النوم يأتى ولا ندرى كيف هو ؟ أو كيف يحدث ؟ وكذلك اليقظة والفرح والسرور ، بل وأغلب الناس لا يعرفون كيف الكهرباء ؟ وهم بها مؤمنون ، وهكذا فى كثير من الأمور

(١) سورة الشورى : الآية (١١) .

وَجَعَلَهُ عِمَادَ التَّكليفِ ، فَمَنْ فقدَ عَقْلَه رُفِع عَنْهُ الْقَلمُ ، وجَعَلَ اللهُ لِلعَقْلِ طَاقَاتٍ وَاسِعَةً .

وَخَلَقَ اللهُ لِلإِنْسَانِ قُوَّةً يَتَصَوَّرُ بِهَا الأَشْيَاءَ ، تُعِينُه على تَنْظِيمِ الْأُمُورِ وتَخيُّلِهَا ، ولكنَّ قُوَّةَ التَّصَوُّرِ ضَعِيفَةٌ ، وَمَحْدُودَةٌ ، فَإِذَا وُصِفَتْ لَكَ مدينَةٌ ، عقَلْتَ أَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ ، وتَصَوَّرتَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ ، وَلكِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ سَتَجِدُ أَنَّها عَلَى غَيرِ الصُّورَةِ الَّتِى تَصَوَّرْتَها مِنْ قَبْلُ .

وإِذَا طَرقَ شَخصٌ الْبَابَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعقِلَ أَنَّ طَارقًا يَطرُقُ الْبَابَ ، وَلَكِنَّ تَصَوُّرَكَ يَعْجزُ أَنْ يَتَصَوَّر ؛ مَنِ الطَّارقُ حقيقَةً ؟ وَمَا طُولُه ؟ وَمَا عَرضُه ؟ ومَا لَونُه ؟ وَمَا حَجْمُه ؟ . . فَقُوَّةُ الْعَقْلِ اخْتَرَقَتْ حَاجِزَ الْبَابِ ، فَعَقَلتَ أَنَّ طَارِقاً مَوجُودٌ يَطْرُقُ الْبَابَ فقط ، بَيْنَما عَجزَتْ قُوَّةُ التَّصَوُّرِ ، وحَبَسَهَا حَاجِزُ الْبَابِ أَنْ تنفُذَ .

« وللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى » . فَالْعَقْلُ يُؤمِنُ بِاللهِ ، وَقُوَّةُ التَّصوُّرِ تَعْجَزُ عَنْ تَصَوُّرِ اللهِ سُبحَانَه ﴿... لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

---

(١) سورة الشورى : الآية (١١) .

الأَسْمَاءُ الحُسْنَى

للهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَلَهُ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ اسْماً ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَلَهُ أَسْمَاءُ أُخْرَى غَيرُهَا ، كَمَا جَاءَ فِى الْحَدِيثِ

قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[1] ، وَمِنَ الْأَسْمَاءِ الْحسْنَى :

« الْوَاحِدُ ، الْأَحَدُ ، الصَّمدُ[2] ، الْقَيُّومُ[3] ، الْخَالِقُ ، المُصوِّرُ ، الرَّحْمَـنُ ، الرَّحِيمُ ، اللَّطِيفُ ، الرَّزَّاقُ ، الوَاسِعُ[4] ، الْعَظِيمُ ، الْعَزِيزُ[5] ، الحَكِيمُ ، العَلِيمُ ، الْحَافِظُ ، الهَادِى ، الْمُحِيِ ، المُمِيتُ ، الوَارِثُ[6] .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية (١٨٠) .

(٢) الصمد : الغنى الذى يقصد فى الحوائج ولا يحتاج إلى أحد .

(٣) القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره .

(٤) الواسع : الذى عمت رحمته ووسع علمه كل شىء .

(٥) العزيز : الغالب الذى لا يذل .

(٦) الوارث : الباقى بعد فناء الموجودات .

شَهادَةُ أنّ محمّدًا رَسُولُ اللّهِ

الأَدلةُ البيِّنةُ على صَدْقِ رسالة مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم :

يُؤَيِّدُ اللهُ رُسلَهُ بِالْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رِسَالتِهِم حَتَّى لَا يُكَذِّبَهُمُ النَّاسُ ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ ﴾[1] ، وَلَقْدَ أَيَّد اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم بِبَيِّنَاتٍ وَاضِحَةٍ وَأَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ مُعْجزَةٍ منها :

البيِّنةُ (المعجزة) القُرْآنيَّة :

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ مُعْجِزَةَ مُحمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دَائِمَةً لتُقْنِعَ النَّاسَ جَمِيعاً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وجَعَلَ الْقُرْآن الْكَرِيمَ أَقْوَى الْمُعْجِزَاتِ ، وحَفِظَهُ سُبْحَانَهُ من التَّحْرِيفِ ، قالَ تَعالَى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ[2] ﴾

---

(١) بالبينات : بالمعجزات . سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٢) «أفمن كان على بينة من ربه » : هو النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والبينة : هي القرآن من ربه تعالى . « الأحزاب» : جميع الكفار على اختلافهم في الملل والنحل . سورة هود : الآية (١٧) .

ولِهَذِهِ البيِّنَةِ القُرْآنيَّةِ أَوْجُهٌ تُوَضِّحُ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ نَذكُرُ مِنْهَا :

فَصَاحَةُ الْقُرآن وجِدَّتُهُ الدَّائِمَة :

الْقُرْآنُ مُكوَّنٌ مِنْ أَحْرُفِ الهجَاءِ (أَ ، ب ، ت ، ث) وَكَلامُ النِّاسِ مُكوَّنٌ مِنْ نَفْسِ الْأَحْرُف . لَكِنَّ فَصَاحَةَ الْقُرْآنِ أَعْجَزَتِ الإِنْسَ ، والْجِنَّ ، عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمثْل أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ ، فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ خُطْبَةً فصيحةً ، أَو قَصِيدَةً بليغَةً ، أَعْجَبَتْكَ ، سُرعانَ مَا تُصْبِحُ هَذه الْخُطبةُ أَو القَصِيدَةُ بَاليةً فى سَمْعِكَ إِذَا كُرِّرتْ عَلَيْكَ لِأَنَّهُ مَامِنْ كَلام لِبشَرٍ إِلا وهُو يَبْلَى ، إِذا كُرِّرَ .

وَلَكِنْ ، كَمْ يَقْرَأُ الْمُسْلِمونَ الْفَاتِحَةَ ، والسُّوَرَ القِصَارَ؟ وَكمْ يَخْتِمُ الدَّارِسُ لِلْقُرْآنِ كِتَابَ اللهِ ، ويُعيدُه ، فَمَا أَحسَّ قارىءٌ للقُرآنِ أَنَّ الفَاتِحَةَ أَو أَىَّ سُورَةٍ قد أَصبَحَتْ بَالِيةً ، فعَلَى أَىِّ شَىْءٍ يَدُلُّ هَذَا ؟ . لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهرَ تَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ، الَّذِى لا يَبْلَى .

وَلَقَدْ تَحَدَّى الْقُرآنُ مَنِ ارْتَابَ فِى صِدْقِهِ أَنْ يَأْتِىَ بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

إِخْبَارُ الْقُرآن بِالْغَيْب :

الغَيْبُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ ، وَلَقَدْ أَخبَرَ الْقُرآنُ بِغُيُوبٍ كَثِيرَةٍ ، فَكَانَ هَذَا دَلِيلاً عَلَى أَنَّ الْقُرآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا الَّذى بَلَّغَ الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ رَسُولُ اللهِ وَمِنْ هَذِهِ الأَخْبَارِ الغَيْبِيَّة

١ ـ عِنْدَمَا انْتَصَرَ الفُرْسُ وهم عُبّاد أَوْثَانٍ عَلَى الرُّوم وهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فى فلسطين فَرِحَ الْمُشْرِكُونَ فِى مَكَّةَ ، وَتَوَعَّدُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَصِيرٍ كَمَصِيرِ الرُّوم ، فَسَاءَ ذَلِكَ الْمُؤمِنِينَ فَأَنْزلَ اللهُ قَولَهُ : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ

---

(١) « شهداءكم » : وهم آلهتهم التى يعبدونها من دون الله . سورة البقرة : الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

ٱلرُّومُ * فِى أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وَعِنْدَما نَزَلَتْ هَذه الْآيَاتُ ردَّدَهَا الْمُسْلِمُون ، وتهكَّمَ بِمَا وَعَـدَتْ به الْكَافِرُونَ ، وَتَصَدَّى كَافِرٌ لِأَبِى بَكْرٍ ـ رَضِى اللهُ عنهُ ـ يُراهِنُه عَلَى أَنَّ الفُرْسَ ، لَنْ تَنْهزِمَ فِى الْمُدَّةِ الَّتِى حَدَّدَتْهَا الآيَاتُ بكَلِمَةِ (بِضْعِ سِنِينَ) ، وَهِىَ مُدَّةٌ تَمْتَدُّ مِن ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ، إِلَىعَشْرٍ وَلَا تَزِيدُ ،فَقَبِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الرِّهانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ ، وَسَمَحَ الرَّسُولُ ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلمَ ـ بِمُضِىِّ الرِّهَانِ ، وَوَقَفَ الْكَافِرونَ مع الْكَافِرِ الَّذى دَخَلَ الرِّهَانَ ، كَمَا وَقَفَ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَظِرُونَ تَحَقُّقَ وَعْدِ اللهِ ، والرَّسُولُ ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلمـ يَقُولُ : « فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَينَ الثَّلاثِ إِلَى التِّسْعِ »[2] ،

---

(١) سورة الروم : الآيات (١ ـ ٦) .

(٢) رواه الترمذى والطبرانى .

وَوُضعَتِ النُّبوَّةُ أَمَامَ امْتِحانٍ ، فَقَدْ جَاءَ الْخَبَرُ الإلَهى بانْتَصارِ الرُّوم الْمَهْزُومِينَ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنَ الدَّلَائِلِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهم يَنْتَصِرُونَ ، وَحُدِّدَ الْموعِدُ بِأَقَلَّ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، وَكَانَ الْخَبَرُ بِصِيغَةٍ لَاتَقبَلُ التَّأْويلَ ﴿ وَعْدَ ٱللهِ لَا يُخْلِفُ ٱللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، والْكُفَّارُ جَمِيعاً يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مِنْ أَعْقَلِ النَّاسِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَرِّطَ نَفْسَهُ فِى مِثْلِ هَذَا الامْتِحَانِ ، لَوْ لَم يَكُنْ فِى غَايَةِ الثِّقَةِ من رَبِّهِ وتَصْدِيقِهِ لَهُ .

لِذَلِكَ ، ما مرَّتْ سَبْعُ سَنَواتٍ حَتَّى تَحقَّقَ وَعْدُ اللهِ ، وفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ ، وظَهَرَ صِدْقُ الرَّسُولِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فَآمَنَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ ، ودَخَلُوا فِى دِينِ اللهِ .

٢ ـ لَقَدْ كَانَت الْمُحَاوَلَاتُ كَثِيرةً جِدًّا ، لِاغْتِيَالِهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَمِنَ الْيَهُودِ ، عَنْ طَرِيقِ الحَرْبِ ، وعَنْ طَرِيقِ الْمُؤَامَرةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ

---

(١) سورة الروم : الآية (٦) .

فَقَدْ نَزَلَ قُرآنٌ ، يَعِدُ رَسُولَ اللهِ بِأَنَّ أَعْدَاءَهُ لَن يَصِلُوا إِلَيهِ ،قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾[1] وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] وبَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ ، أَمَرَ الرَّسُولُ - صلى الله عليه وآله وسلم - الصَّحَابَةَ ، الذِّينَ كَانُوا يَحْرِسُونَه ، فَقَالَ : « يَا أَيُّها النَّاسُ انصَرِفُوا عنَّا فَقد عَصَمَنا اللهُ عَزَّ وجَلَّ »[3] .

ولقد كَثُرَتِ الْمُؤَامَرَاتُ ، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَه أَحْبَطَهَا ، تَحقِيقاً لِوَعْدِهِ ، ولَقَدِ استُشْهِدَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - ثَلاثَةٌ مِنَ الخُلَفَاءِ ، الْأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ والإِسْلَامُ قَوِىٌّ ، والْكُفرُ مُنْدَحِرٌ ، وأَسْبَابُ الْأَمَنِ مُتوفِّرةٌ لِلْخُلَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ مُتوفِّرَةً فِى

---

(١) سورة الإسراء : من الآية (٦٠) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٦٧) .

(٣) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير والترمذى والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

عَهْدِ الرَّسُولِ ، لَكِنَّ الدِّفَاعَ الإِلَهِيَّ ، هُو الَّذِى نَجَّى رَسُولَه الَّذِى وَثِقَ بِوَعْدِ رَبِّه ، فَمَضَى فِى دَعْوَتِهِ ، وصَرَفَ حَرَسَهُ ، فصَدَقَهُ اللهُ مَا وَعَدَهُ .

٣ ـ لَقَدْ كَانَ الرُّسُلُ يتَعَاقَبُونَ عَلَى الأَرْضِ ، وَلَكِنْ مُنْذُ أَنْ ظَهَرَ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انْقَطَعَ الرُّسُلُ ، وَذَلِكَ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللهُ بِكُل شَىْءٍ عَلِيماً ﴾[1] فَهَذَا خَبَرٌ غَيْبِيٌّ صَدَّقَتْه الْقُرُونُ الَّتِى جَاءَتْ بَعْدَ بِعثَةِ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَا نَبِىَّ آخَرَ بَعْدَ خَاتَمِ الأَنْبِياءِ .

الإِعْجَازُ الْعِلْمى الحديث للْقُرْآن :

قَالَ تعَالَى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وفِىٓ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٤٠) .
(٢) سورة فصلت : الآية (٥٣) .

لَقَدْ تَحَقَّقَ الْوَعْدُ مِنْ رَبِّنَا فِى هَذَا الزَّمَان ، فرَأَى الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَتَبَيَّنُوا الْحَقَّ آيَاتِ اللهِ فِى آفَاق الْمخْلُوقَاتِ ، وَمَا رَأَوا تِلْكَ الآيَاتِ والأَسْرَارَ إِلَّا بِأَدَقِّ الأَجْهِزَةِ والْوَسَائِل ، كَالطَّائِرَاتِ والْغَوَّاصَاتِ ، والَّتِى لَمْ يَمْلِكْهَا الإِنْسَانُ إِلَّا فِى هَذَا الزَّمَانِ . فَكَانَ لَهُمْ فِى ذَلِكَ بينةٌ بِأَنَّ اللهَ هُو الَّذِى أَخْبَرَ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وآله وسلم - عَنْ هَذِهِ الأَسْرَارِ فِى الْخَلْقِ ، يَوْمَ لَا أَجْهِزَةَ بَحْثٍ علمِىٍّ ، وَلَا طَائِرَات ، وَلَا غَوَّاصَاتٍ ، فَكَانَ هَذَا لَوْناً جَدِيدًا مِنْ إِعْجَاز الْقُرآنِ ، يُبَيِّنُ لِلْكَافِرِ الْيَوْمَ صِدْقَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وصِدقَ هَذَا الدِّين ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذلك :

١ - مَا كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّ أَصْلَ السَّماءِ وَنُجُومَهَا ، وكَواكِبَهَا هُوَ الدُّخَانُ ، حَتَّى تَقَدَّمَتْ أَجْهِزَةُ الْبَحْثِ الْعِلْمِىِّ ، وشَاهَدَ الْبَاحِثُونَ بَقَايَا الدُّخَانِ ، لا تَزَالُ تَتَكَوَّنُ مِنْهُ النُّجُومُ إلى يَوْمِنَا هَذَا ، واللهُ يَقُولُ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة فصلت : الآية (١١) .

٢ - وَكَشَفَ البَاحِثُونَ الآنَ : أَنَّ نُجُومَ السَّمَاءِ لاتَزَالُ تُخْلَقُ ، وَأَنَّ مُدُنَ النُّجُومِ يَتَبَاعَدُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ وَبِهَذَا عُرِفَ أَنَّ السَّمَاءَ لاتَزَالُ تَتَّسِعُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[١]

٣ - وَكَشَفَ الْبَاحِثُونَ أَخِيرًا : أَنَّ الْقَمَرَ كَانَ مُشْتَعِلاً ثُمَّ انْطَفَأَ ، وَمُحِيَ ضَوْءُهُ ، وَأَنَّ النُّورَ الَّذِى يَخْرُجُ مِنْهُ فِى اللَّيلِ لَيْسَ إِلَّا انْعِكَاساً مِنْ سِرَاجٍ آخَرَ ، هُو الشَّمْسُ ، واللهُ يَقُولُ :﴿...فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[٢] ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : (آيةُ اللَّيلِ القَمرُ وآيةُ النَّهارِ الشَمسُ) ، وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِى اللهُ عَنْهُمَا : (كَانَ الْقَمَرُ يُضِىءُ كَالشَّمْسِ) . وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ : (فَمَحَوْنَا آيةَ اللَّيل) أَى طَمَسْنَا ضَوْءَهَا .

ثُمَّ ذَكَرَ الْقُرآنُ الْقَمَر وسِرَاجَهُ ، فَقَالَ تَعالى : تبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا

---

(١) « بأيد » : بقوة . سورة الذاريات : الآية (٤٧) .
(٢) سورة الإسراء : الآية (١٢) .

سِرَاجاً وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[1] انظر : قال الله : « سِرَاجًا » ، وَلو كَانَ الْقَمَرُ يُضِيءُ ، لَقَال الرَّحْمَنُ : « سِرَاجَين » وَلَمْ يَقُلْ : سِرَاجاً .

٤ ـ وكانَ النَّاسُ يظنُّونَ : أَنَّ مَنْ صَعَدَ فِي السَّمَاءِ تَنَفَّسَ الْهَوَاءَ الْعَلِيلَ ، فَلَمَّا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الطَّائِرَاتَ الْحَدِيثَة وَصَعَدَ فى السَّمَاءِ ، وَجَدَ : أَنَّ مَنْ صَعَدَ فى السَّمَاءِ ؛ يَضِيقُ صَدْرُهُ ، وَيَبْلُغُ أَشَدَّ دَرَجَاتِ الضِّيق بِسَبَبِ أَنَّ الْهواءَ يَنْقُصُ كُلَّمَا صَعَدَ الْإِنسَانُ فِى السَّمَاءِ ، وَاللّٰهُ يَقُولُ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَاءِ ﴾[2] .

٥ ـ وَمَا كَانَ أَحَـدٌ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْجِبَالَ تَخرِقُ الْأَرْضَ ، كَالْأَوتَادِ ، حَتَّى اكْتَشَفَ الدَّارِسُونَ ، أَنَّ تَحْتَ الطَّبَقَةِ الْأَرضيَّةِ الصُّلْبةِ ، الَّتى نَعِيشُ عَليهَا ، طَبَقَةً لِيِّنةً لَزِجَةً تَحْتَهَا ، وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ جَبَلٍ ، جِذْرًا يَغُوصُ فِى هذه الطَّبَقَةِ اللَّيِّنَة ، فيُمْسِكُ الْأَرضَ

---

(١) سورة الفرقان : الآية (٦١) .

(٢) « حرجاً » : شديد الضيق ، سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .

الصُّلبَةَ ، الَّتِى نَعِيشُ عَلَيهَا ، مِنْ أَنْ تَضْطَرِبَ مِنْ تَحْتِنَا ، بِسَبَبِ لِينِ مَا تَحْتَهَا ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[1] . وَيَقُولُ : ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[2] .

٦ – وَاكْتَشَفَ الدَّارِسُونَ : أَنَّ الْمَاءَ إِذَا نَزَلَ أَخْرَجَ النَّبَاتَ ، وَأَنَّ النَّبَاتَ يُخرِجُ مادَّةً خَضْرَاءَ اللَّونِ ، هِى الَّتِى تُصنَعُ فِيهَا الْحُبُوبُ والثِّمارُ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ الْخَضْرَاءِ تَخْرُجُ الْحُبُوبُ والثِّمارُ ، وَاللهُ يَقُول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾[3]

٧ – وَاكْتَشَفَ الْبَاحِثُونَ : أَنَّ فِى النَّبَاتَاتِ جَمِيعًا زَوجِيَّةً (ذكراً وأُنثى) وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة النبأ : الآية (٧) .

(٢) « رواسى » : جبال ثوابت : سورة الأنبياء : الآية (٣١) .

(٣) « خضراً » مادة خضراء . « متراكباً » : متراكماً كسنابل الحنطة . سورة الأنعام : الآية (٩٩) .

(٤) سورة يس : الآية (٣٦) .

٨ - وَاكْتَشَفَ الأَطِبَّاءُ . أَنَّ الْأَعْصَابَ الَّتِى تَتَأَلَّمُ بِحَرِيق النَّارِ وشِدَّةِ الْبَرْدِ تُوجَدُ فِى الْجِلْدِ فَقَطْ ، كَمَا تَتَركَّزُ بَاقِى أَعصَابِ الإِحْسَاسِ فِى الْجِلْدِ ، مِمَّا يَجْعَلُ الإِنْسَانَ يَتَأَلَّمُ عِنْدَ دُخُولِ إِبْرةِ الطَّبِيبِ فِى مَنْطِقَةِ الْجِلْدِ ، فَإِذَا غَارَتْ فِى اللَّحْمِ تَلاشَى الأَلَمُ ، وَقَدْ بَيَّنَ الْقُرآنُ أَنَّ الأَلَمَ بِالْحَرْقِ يَكُون فِى الْجِلْدِ ، فِى قَولِه تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[1] .

٩ - وَاكْتَشَفَ الدَّارِسونَ أَنَّ اللَّبَنَ فِى الأَنْعَامِ يُسْتَخْلَصُ مِنْ بَيْنِ الفَرْثِ فِى الأَمْعَاءِ الدَّقِيقَةِ ، فتبْقَى الفَضلاتُ الَّتِى تَخرُجُ فِى صُورَةِ بَعَرٍ ، وغَيره ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُلَّهَا فَرْثًا سَائِلاً ، ثُمَّ تَدْخُلُ الْمَوَادُّ الْغِذَائِيةُ فِى الدَّمِ ، ثُمَّ يُسْتَخْلَصُ اللَّبنُ من الدَّمِ فِى الضُّرُوعِ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم

---

(١) « نضجت » : اجتزئت وتهرأت . سورة النساء ، الآية (٥٦) .

مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّرِبِينَ ﴾[١] .

١٠ - مَا كَانَتِ الْبَشَرِيَّةُ تَعْرِفُ أَنَّ فِى الْبَحْرِ مَوْجاً دَاخِلِيًّا ، غَيْرَ الْمَوْجِ السَّطْحِىِّ ، وَمَا كَانَ النَّاسُ يَعْلَمُون أَنَّ فِى أَعْمَاقِ الْبِحَارِ ظُلمَاتٍ ، فَجَعَلَ اللهُ لِلأَسْمَاكِ سُرُجاً تُنِيرُ لَهَا فِى تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَمَا كَانَ أَحدٌ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوجَ بِسَطْحِهِ الْمَائِلِ يُشَتِّتُ الضَّوْءَ الَّذِى يَسْقُطُ عَليهِ مِنْ أَعْلَى فَيُكَوِّنُ بِذَلِكَ ظُلْمَةً كَمَا تَفْعَلُ السَّحَابُ فِى مَنْع بَعْضِ الْأَشِعَّةِ ، مِنَ النَّفَاذ إِلَى أَسْفَلَ ، لَكِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَسْرَار قَدْ ذَكَرَهَا اللهُ فِى آيَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور ﴾[٢] .

---

(١) « من بين فرث ودم » : لقد تصفى اللبن مرتين ، مرة من الفرث ثم صار دماً ، ومرة من الدم ثم صار لبناً خالصاً . سورة النحل : الآية (٦٦) .

(٢) « لجى » : أى عميق كثير الماء . « يغشاه موج » : يعلوه ويغطيه . سورة النور : الآية (٤٠) .

هَذِهِ الْأَسْرَارُ وغيرُهَا فِى أَعْمَاقِ السَّماءِ ، وَأَعْمَاقِ الْمَاءِ ، وبَاطنِ الْأَرْضِ ، وبُطُونِ الْأَنْعامِ ، وَجَوْفِ النَّبَاتِ ، وَفِى تركِيبِ الْإنسَانِ ، مَا عَرَفَهَا الْإِنسَانُ إلاَّ فِى هَذَا الزَّمَانِ ، بَعْدَ أَنْ صَنع أَدَقَّ الْآلَاتِ ، الَّتِى تَمكَّنَ بِهَا ، مِنْ مَعرِفةِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ .

فمن كَشَفَ لِمُحَمَّدٍ - صَلى الله عليه وآله وسلم - هَذِه الْأَسْرَارَ قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبعمائة عَامٍ ، يَومَ لا طَائِرات ، ولا غَوَّاصَات ، ولا مختَرَعَاتٌ عِلْمِيَّةٌ ؟ ؟ !

إنَّ هَذَا كُلَّه يَشْهدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ، فِى أَمريكا أَو رُوسِيَا ، فِى الْهِنْدِ أَو الصِّينِ ، فِى أُوربَا أَو اسْتُرالِيا ، أَنَّ هَذَا الْقُرآنَ نَزَلَ بِعِلْمِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] كَمَا يَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - .

---

(١) سورة الفرقان : الآية (٦) .

عَـــلامَاتُ السَّاعَـــةِ

قال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[1]. وإخبارُ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – بغَيْبِ عَلَامَاتِ السَّاعةِ ، الَّتِى لَمْ تَظْهَرْ أَمَارَاتـهَا إِلَّا فِى زَمَانِنَا ، يَشْهَدُ لَهُ بِصِـــدْقِ الرِّسَالَةِ ، كَمَا يَشْهَدُ بِأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ ، وَأَنَّهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَرِيبَةً .

وَمِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتى ظَهَرَتْ مَا يَلِى :

١ – أُمُورٌ عَظِيمَةٌ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ أَحَدٍ مِن قَبْلُ :

هَذِهِ الْعَجَائِبُ ، والْأُمُورُ العِظَامُ ، الَّتِى حَدَثَتْ فِى الْمُخْتَرَعَاتِ ، وَفِى عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَالْأَنظِمَةِ ، والْعُلُوم ، وَهَذِهِ الْأَحْدَاثُ العَالَمِيَّةُ ، الَّتِى مَا كَانتْ تَخْطُرُ عَلى بَالِ أَحَدٍ ، سَوَاءٌ فِى أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، أَو الْكَافِرين ، يَصْـدُقُ عَلَيْهَا وَصْفَ : الأُمُـور العَظِيْمَةِ ، الَّتِى لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ أَحَدٍ مِنَ السَّابِقِينَ ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا عَنْها

(١) سورة الجن : الآيتان (٢٦ ، ٢٧) .

رَسُولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلهِ وَسَلَّم - فَقَال : « لَاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا أَمُوراً عِظَاماً لَم تَكُونُوا تَرَوْنَهَا وَلَا تُحَدِّثُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ » .

٢ - الحُفَاةُ العُرَاةُ رُعَاةُ الْغَنَمِ وَتَطَاوُلُهُمْ فِى البِنَاءِ :

إِنَّ الْحَافِىَ الَّذِى لا يَمْلِكُ حِذَاءً ، الْعَارِىَ الَّذِى لَا يَجِدُ ثَوباً يَسْتُر كُلَّ جِسْمِهِ ، الْعَالَةَ فِى طَعَامِهِ عَلَى غَيره ، الَّذِى لَا يُجِيدُ مِنَ الْعَمَلِ غَيرَ رَعْى الْغَنَمِ ، إِنَّ الَّذِى يَتَّصِفُ بِكُلِّ هَذَا لا يَتَصَوَّرُ أَحدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبْلُ ، أَنَّه سَيَتَمَكَّنُ مِنْ بِنَاءِ أَىِّ بيْتٍ ، فَضْلاً عَلى أَنْ يَجْعَل ذَلِكَ البَيْتَ مِنَ البُيُوتِ الطَّوِيلَةِ ، ويُطَاوِلُ غَيْرَهُ فِى الْبِنَاءِ ، وفَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ ظَاهِرةً لَا تَحدُثُ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ ، بَلْ تَحْدُثُ لِجَمَاعَاتٍ كَثِيرةٍ مِنْ رُعَاةِ الغَنَمِ الحُفاةِ ، العُرَاةِ ، الْعَالَةِ . فَهَذَا أَمرٌ مَا كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ . لَكِنَّ الأَمرَ وَقَع ، فَبَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِم مِنْ ثَرَوَاتِ الأَرضِ ، وخَاصَّةً البُتْرُول ، رَأَيْنَا رُعاةَ الغَنَمِ الحُفَاةَ ، العُرَاةَ ، العَالةَ ، يَتَطَاوَلُونَ فى البُنْيَان ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ ، رَسُولُ اللهِ - صلى الله عَليْه وَآله وسَلَّمَ - وبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ مِنْ عَلامَاتِ

السَّاعَةِ ، فَقَالَ : « إِذَا رَأَيتَ الْحُفَاةَ ، الْعُرَاةَ ، الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنيَانِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ[1] »

٣ - ظُهُورُ الكَاسِيَاتِ العَارِيَاتِ الْمَائِلاَتِ الْمُمِيلاَتِ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْجِمَالِ :

كَانَ هُنَاكَ بَعْضُ الصُّعُوبَةِ فِى فَهْمِ حَالَةِ النِّسَاءِ اللاَّئى وَصَفَهُنَّ رَسُولُ اللهِ - صلى اللهُ عَليه وآله وسَلَّمَ - بِأَنَّهُنَّ سَيَخْرُجْنَ فى آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَأَنَّهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ . وَقَد يَحتَارُ الإِنْسَانُ ، كَيْفَ تَكُونُ المَرأَةُ كَاسِيَةً ، وَعَارِيَةً فى آنٍ واحِدٍ حَتَّى رَأَيْنَا ذَلِكَ فِى زَمَنِنا ، فَلِلْمَرْأَةِ كِسَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ ضَيِّقٌ أَوْ شفَّاف يَصِفُ الجسْمَ ، ويُظْهِرُهُ [أولها الملابسُ الكثيرةُ ، ولكنَّها تُفصِّلُها قَصِيْرَةً] أَو تكُونَ لاَبِسَةً كَاسِيَةً فِى بَعْضِ الأَمَاكِنِ ، مُتَعرِّيَةً فِى أَمَاكِنَ أُخْـرَى . وهُنَّ أَيضاً مَائِلاَتٌ مُمِيلاَتٌ ، وَقَدْ اكْتَمَلَ المَيْلُ عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيم ، والتَّمايُلُ بالأَجسَادِ ، حَتَّى وَضَعُوا لَهُنَّ فِى أَحذيتَهِن كُعُوباً عَالِيَة ، لاستِكْمَال

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

المَيْلِ فِى الأَجْسَامِ ، وَهُنَّ بِهذَا المَيْل مُمِيلاَتٌ لِكَثِيرٍ من الشَّبَابِ مُضِلَّاتٌ لَهُمْ بِفِتْنَتِهِنَّ المَعْروضَة . .

وَرءُوسُهُنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ : أَىْ كَأَسْنِمَةِ الجمَالِ المَائِلَةِ . وَهَذَا مَا نُشَاهِدُهُ فِى زَمَانِنَا ، مِصْدَاقًا لِحَدِيثِ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الَّذِى كَشَفَ اللهُ لَهُ هَذَا الغَيْبَ ، قَبلَ أَلفٍ وَأَرْبَعمائةِ عَام ، فقال عليه وعلى آله الصلاةُ والسَّلاَمُ : (صِنْفَانِ مِن أُمَّتِى مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ[1] ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مائِلَاتٌ مُمِيلاَتٌ ، رءُوسهنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ ، لا يَدْخُلُون الجنَّةَ ، وَلَا يَجدُونَ رِيحَهَا)[2] .

٤ - نَطْقُ الْجَمَاد :

قال - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - : « إِنَّها أَمَارَاتٌ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ ، أَوشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ ،

---

(١) الذين يعتدون ظلما على الناس فيضربونهم بالسياط

(٢) رواه أحمد ومسلم .

فَلَا يَرجِعَ ، حَتَّى يُحَدِّثُهُ نَعْلَاهُ ، وَسَوْطُه ، مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ »[1]

النَّعْلُ جَمَادٌ ، والسَّوْطُ جَمَادٌ ، وَمَا كَانَ أَحدٌ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الجَمَادَ سَينطِقُ ، وقَدْ نَطَقَ الجَمَادُ فِعْلاً ، وأما كَيفَ يُحَدِّثُ النَّعلُ ، أَوِ السَّوطُ الرَّجُلَ عَمَّا أَحْدَثَ أَهْلَ بَيْتِهِ بَعْدَه ؟ فَقَدِ اختُرِعتْ الآن أَجْهِزَةٌ يَحمِلُها الإِنسَانُ فِى يَدِه ، فتَنَقُلُ لَه الْأَصْوَاتَ ، والكَلَامَ مِنْ بيتِهِ ، أَوْ مِنْ بَيْتِ غيْرِهِ . [وَمَا بَقِى إِلَّا أَنْ تُشَكَّل فِى شَكْلِ سَوْطٍ ، لِيَسْهُلَ حَمْلُهَا ، أَو تُصْنَع فى الْحِذَاءِ فلا تُرَى] ويمكن تَركيبُها فى طَرَفِ العَصَا أَو فِى مَكَانٍ مَّا مِنَ الحِذَاءِ بحَيْثُ لَا تُرَى .

٥ ـ قَبْضُ الْعِلْمِ ، وَكَثْرةُ الزَّلَازِل ، وَتَقَارُبُ الزَّمانِ ، وظُهورُ الْفِتَن ، وَإِطَالَةِ الْبِنَاءِ :

قَبْضُ الْعِلْمِ هُو مَوْتُ الْعُلَمَاءِ وعَدَمُ وجُودِ مَنْ يَخْلُفُهم ، والْمَقْصُودُ بِهِمْ عُلَمَاءُ الإِسَلام ، وَقَد دَلَّ

---

(١) روى الحديث أحمد فى مسنده ورواه الترمذى والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو نعيم فى الحلية .

الحديثُ على ذَلِكَ . وَكثرةُ الزَّلازِلِ هُو مَا نُشَاهِـدُهُ ، ونَسْمعُه فِى هَذِه الْأَيَّام ِمِنْ الزَّلَازِلِ الْمُدمِّرةِ

وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ ؛ أَى أَنَّ الْأَيَام َتمرُّ ، وَكَأَنَّهَا ساعَاتٌ قَلِيـــلةٌ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَحْـــدَاثِ الَّتى تَجْعَلُ الإِحْسَاسَ بِالزَّمنِ يَقِلُّ (والله أَعلم) ، فَإِذَا كُنتَ مَشْغُولاً فِى عَمَلٍ مَرَّت السَّاعةُ وكأَنَّها لَحظَاتٌ ، أَمَّا إِذَا كُنتَ فَارِغاً فَتُحِسُّ بِطُولِ الزَّمَانِ . وَزَمَانُنَا هَذَا أَيَّامُه مَمْلُوءَةٌ بالْأَعمَالِ ، مِمَّا يَجعلُها تَمُرُّ بسُرْعَةٍ . وظُهُورِ الفِتَنِ ، أَى كَثْرَةُ الْفتنِ ، الَّتى تَفْتِنُ الإِنسَانَ عَنْ دينِه ، والْإِعلانُ بِهَا .

وأَما إِطَالةُ البِنَاءِ فَما عَلَيكَ إِلَّا أَنْ تُقَارِن بَينَ الْمَنَـــازِلِ قَبْلَ خَمسِين عَاماً والْمنَازِلِ فى أَيَّامِنَا هذِهِ ، وكَيف اسْتَطَالتْ . وهذا كُلُّهُ قدْ أَخبَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليـــه وآله وسلم - بقوله : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَحتَّى يَتَطَاولَ النَّاسُ فِى الْبُنْيَان [١] »

---

(١) رواه البخارى .

٦ ـ تَسْلِيمُ الخَاصَّةِ وفُشُوُّ التِّجارَةِ وَقَطْعُ الأَرْحَامِ وكثرة القِرَاءَةِ وشَهَادَةُ الزُّور :

تَسْلِيمُ الخَاصَّةِ : هُوَ أَنْ يَخُصَّ الإِنسَانُ بِالسَّلامِ مَنْ يُرِيدُ . وَفُشُوُّ التِّجَارةِ انْتِشَارُهَا . وَفَشُوُّ الْقَلَمِ أَى كَثْرَةُ اسْتِخْدَام الْقلم ، وَهُوَ دليلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ . وَهَذَا كُلُّه جَاءَ فِى حَدِيث رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ القائِلِ : (إِنَّ بَيْنَ يَدَى السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الخَاصَّةِ وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرأَةُ زَوجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ ، وفُشُوَّ الْقَلَمِ ، وظُهُورَ الشَّهَادَةِ بالزُّورِ ، وَكُتْمَانَ شَهادَةِ الْحَقِّ)[1] .

٧ ـ كَثْرَةُ الزِّنَا وشُرْبُ الْخَمْر :

قَالَ عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، ويَكْثُرَ الجَهْلُ ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ)[2] . وَكَثْرَةُ الْجَهْلِ : أَى الْجَهْلِ بالدِّين .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

٨ ـ انْتِشَارُ التَّعَامُل بالرِّبَا :

قَالَ عليه وعلى آله الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ : (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنهُم أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الربَا ، فَمَن لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِن غُبَارِه)[١].

وقَد انْتَشَرَ التَّعَاملُ بالرِّبا فِى زَمَانِنَا عَنْ طَرِيق البُنُوكِ وَغَيْرِهَا ، وإِنْ كُنَّا نَرَى ظُهُورَ بنوكاً إسلامِيَّةً لَا تتعَامَلُ بالرِّبَا ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكثِر مِنْ هَذِه البنُوكِ الْإِسْلَامِية.

٩ ـ التَّحِيَّةُ بالتَّلاَعُنِ ، وَتَشَبُّهُ الرِّجَال بالنِّسَاءِ ، والنِّسَاءِ بالرِّجَال :

يَأْمُرُ الإِسلَامُ بالتَّحِيَّةِ الْحَسَنَةِ ، والردِّ الأَحسَنِ ، وَهكَذَا كَانَ الْمُسلِمُونَ ، حَتَّى ظَهَرَ فِى زَمَانِنَا من يُحَيِّى غيرَه باللَّعنِ ، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (لَا تَزَالُ الأُمَّةُ عَلَى شَرِيعَةٍ حَسَنَة مَالم تَظْهَرْ فِيهِم ثَلَاثٌ : مَالَمْ يُقْبَضْ مِنهم الْعِلمُ ، وَيَكْثُرْ فِيهِمُ ولدُ الخُبثِ ، وَيظْهَرْ فِيهم السَّقَّارُونَ) قَالُوا : وَمَا السَّقَّارُونَ ؟ قال :

---

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه .

(نَشْءٌ يكُونُونَ فى آخِرِ الزَّمَانِ تَكُون تَحِيَّتُهم بَيْنَهُم إذَا تَلاقَوا التَّلاعُنَ)[١]

وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَتَصوَّرُ أَنَّ الرَّجُلَ سَيَتَشَبَّهُ بالْمَرأَةِ ، والْعَكْسَ ، حتَّى فَاجأَنَا الزمانُ بهذِه المُصيبَةِ ، لكنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْ هذَا ؛ وكَشَفَ اللهُ لَهُ مَا سَيقَعُ ، فقال عليه وعلى آله الصَّلاةُ والسَّلامُ : « مِن عَلامَاتِ اقتَرابِ السَّاعَةِ تشبُّهُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، والنِّسَاءِ بالرِّجَالِ »[٢] .

١٠ - وطَائِفَةٌ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ :

ومَهمَا كَثُرَ الْفَسَادُ ، فَقَدْ شَاءَتْ حِكْمَةُ اللهِ سُبحَانَه ، أَن تَبْقَى طَائِفَةٌ على الْحَقِّ ظاهِرةً . تُقِيمُ الْحُجَّـةَ على النَّاسِ بالدَّعوة إلى دينِ الله ، وتَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ الله ، وسُنَّةِ رسُولِه - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وَهَذَا مانُشَاهِدُه ، فلاَ يخْلُو مَكَانٌ إلاَّ وفيهِ مَنْ يُظْهِرُ دِيْنَ الله ، ويتمسَّكُ بِكتَابِ الله ، وسُنَّةِ رَسُولهِ .

---

(١) رواه أحمد والحاكم والطبرانى .

(٢) رواه أبونعيم فى الحلية وغيره .

وفى هَؤُلَاءِ ، قالَ رسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليه وآله وسلم - : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَن يَخْذُلُهُم حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ »[١]

وبعْدُ : فَهَذَا قَلِيلٌ مِن كَثِيرٍ ، ممَّا أَخْبَرَ بِهِ رسولُ ربِّنَا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قبل أَلفٍ وأَربعِمائة عَامٍ ، يَشْهَدُ بِصِدْقِ نبوتِهِ ، وبِأَنَّه نَذيرٌ لَنَا وبَشِيرٌ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَكما رَأَيْنَا عَلاماتِ السَّاعَةِ اليومَ فَسَنَرَى السَّاعَةَ غَدًا ، لِأَنَّ الْمُخبِرَ بِهَا وَاحِدٌ ، وهو الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، مُحَمَّد بنُ عبدِ اللهِ - صلى اللهُ عليه وآله وسَلَّمَ - .

---

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

بَيِّنَةُ تَغيُّرِ نِظَامِ الخَلْقِ

مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ

لَقدْ خلَقَ اللهُ الكَونَ عَلَى نِظَامٍ ثَابت ، ولَكِنَّ اللهَ يُغيِّرُ هَذَا النِّظَامَ تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ ، وتَصْدِيقاً لهم .

وَمِنْ أَمْثلةِ ذَلِكَ : ماحَدَثَ لِرَسُولنا مُحَمدٍ - صلى الله عليه وآله وسلم - وَهِيَ بيِّناتٌ كَثيرةٌ أَقْنَعَتِ الْكثيرَ مِن النَّاسِ ، بِصِدْقِ رِسالتهِ وَنُبُوَّتهِ ، وَمنهَا :

١ - انشِقَاقُ الْقَمر :

نِظَامُ الْخِلْقَةِ الثَّابتِ هُوَ أَنَّ الْقَمَر جِسْمٌ وَاحِدٌ ، ولا يَقدِرُ على شَقِّهِ نِصفَيْنِ أَحدٌ إِلَّا اللهُ ، ولَكِنَّ الكفارَ لمَّا كَذَّبُوا مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وآله وسلم - وطَالَبُوهُ بِآيةٍ تُصَدِّقُه شَقَّ الله له الْقَمَر نِصفَينِ ، فَقَالَ عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (اشْهَدُوا) ، فَقالَ الكَافِرُون : سحَرَنا مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يُكَذِّبُوا الآيةَ الَّتى شَاهَدُوهَا فَأَنْزَلَ اللهُ قَولَهُ :

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1] [2] .

٢ ـ الإسراءُ والمعراج :

شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ رَسَولَهُ إلى سِدْرَةِ الْمُنْتهى . فَوْقَ السَّماءِ السَّابِعَةِ ، فلم يُعرَجْ بِه من مَكَّةَ . بَلْ أُسْرِىَ بِه مِنْهَا لَيْلاً ، إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنْ بيتِ الْمَقْدِسِ .

وقد كَانَ فى إسْرَائِهِ الدَّلِيلُ للكُفَّارِ على صِدْقِهِ ، لِأَنَّهم كذَّبُوا الرَّسولَ ، ثم امْتَحَنُوا صِدْقَهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ وَصْفِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَهُم يَعْلَمُونَ أَنَّه لَم يَرَهُ مِنْ قَبْلُ . فَوَصَفَهُ حَجَرًا حَجَرًا ، فَسأَلُوه عَنْ قَافِلَةٍ لَهُم فى الطَّرِيقِ ، فحدَّدَ مكانَهَا ، وعدَّدَ رِجَالَهَا ، وَمِنْ أَىِّ القَبَائِلِ هُمْ ، وَوَصَفَ الْإِبِلَ ، وذكَرَ وصفَ الجَمَلِ الَّذى يتَقدَّمُ الْقَافِلَةَ ، وَمَا يَحْمِلُ ، بَلْ وَحَدَّد الزَّمَنَ الَّذى تَصِلُ فِيه القَافِلَةُ ، فَوصَلَتْ فى الْمَوعِدِ الَّذى حَدَّدَهُ ، فَكان فى ذَلِكَ كُلِّهِ دَلِيلٌ عَلى إسْرَائِهِ . وكَانَ الْإِسرَاءُ دَلِيلاً على

---

(١) سورة القمر : الآية (١) .

(٢) روى الحديث أحمد ، ومسلم ، واللفظ للطبرى .

المِعْراج فى السَّماءِ ، وذَكَرَ الْقُرآنُ الإِسْـــرَاءَ ، فَقَالَ سُبحانَه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[1] ، وقَالَ سُبحَانَهُ عَن المِعْراجِ : ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[2] ، وكَانَتِ الجَنَّةُ والنَّارُ مِن آياتِ اللهِ الَّتى رَآهَا عليه وعلى آله الصَّلاَةُ والسَّلام . . إنَّ الإِسْرَاءَ والْمِعرَاجَ خَرْقٌ لِنَظَامِ الْخِلْقَةِ ، وَقد جَعلهُ اللهُ تَصْدِيقاً لِرَسُولِهِ .

---

(١) سورة الإسراء : الآية (١) .

(٢) « أفتمارونه » : أى تجادلونه . « رآه » أى رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى التى تنتهى إليها علوم الخلائق ، وهى فى السماء السابعة عن يمين العرش . « جنة المأوى » : هى التى تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين . « يغشى السدرة » : يغطيها ويسترها . « مازاغ البصر » أى ما مال عنما أمر برؤيته . « ماطغى » : أى ماجاوز النظر إلى غيرما أمر برؤيته . « آيات ربه الكبرى » : أى الآيات العظام ، منها : أنه رأى جبريل على صورته وله ستمائة جناح . ورأى الجنة والنار . ورأى الملائكة على اختلافهم فى خلقهم وفى عبادتهم ، فمنهم الساجد ، ومنهم الراكع ، ومنهم القائم ، يسبحون بحمد ربهم لا يتعبون ولايفترون . سورة النجم : الآيات (١٢ – ١٨) .

٣ - الرِّيَاحُ والْجُنُودُ الَّتى لَاتُرىَ تُقَاتِلُ مَع الرَّسُول وَصحْبَه:

لَقدْ كانَ المُسلِمُونَ فِى جَانبٍ مِنَ الْخَنْـــدَقِ الَّذى حَفَرُوه حَولَ الْمدِينةِ لِمَنْعِ الْمُشْرِكينَ مِنَ الْوُصُـــولِ إِلَيهَا ، وكَانَ الكُفَّارُ فِى الْجِهةِ الْأُخْرَى مِنَ الخندَقِ ، فَإِذَا بِرِيَاحٍ شَدِيدَةٍ وَجُنُودٍ لَا تُرَى ، تُطفِىءُ نَارَ الْكَافِرِين وتُكْفِىءُ قُدُورَهُم ، وتَهْدِمُ بِنَاءَهُم ، وتَقْتَلِعَ خِيامَهُم ، وتُشَرِّدُ خَيلَهُم وجِمالَهُم ، وَإِذَا بِالمشْرِكينَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ أَماكِنَ بَعِيدَةٍ ، وَحَاصَرُوا الْمَسلِمِينَ لَيَالِىَ طَويلةً ، يُطْرَدُونَ رَغْمَ أُنُوفِهِم ، وَيُعودُون خَائِبِينَ ، وأَصبَح الْمُسلِمُون يُرَدِّدُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وَسَلَّم ـ قَولَهُ : « الْحَمْدُ للهِ وَحْدَه ، صَدَقَ وَعْدَه ، وَنَصر عَبْدَهُ وأَعزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » . . وَفِى ذَلِكَ نزل قولُ اللهِ سبحانَهُ فِى سُورَةِ الأَحزاب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُـــونَ بَصِيرًا ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٩) .

٤ ـ النُّعاسُ والمطرُ والْمَلائِكَةُ تَنْزِلُ لتأْييدِ المسْلِمينَ :

تَوجَّه الْمُسلِمُون لِقتَالِ الْمُشْرِكينَ فى بَدْرٍ ، وهُمْ خَائِفُون لِقلَّتِهم ، وَضَعْفِهم ، فأَنْزلَ اللهُ النُّعاسَ أَماناً لَهُمْ ، واحْتلَم بَعضُهُم ، فأَخذَ الشَّيطَانُ يُوَسْوِسُ لَهُمْ ، ويُخَوِّفُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ ، وهم جُنُبٌ ، لِيَرُدَّهُم عَنِ الْمَعْرَكَةِ ، فَأَنْزلَ اللهُ مَاءً لِيَغْتَسِلُوا بِهِ ، ولِيُثَبِّتَ الرِّمالَ بِهِ تَحْتَ أَقْدامِهِمْ عِندَ سَيْرِهِم إلىَ الْمَعْرَكةِ ، ثُمَّ نَزلَتْ الْمَلائِكةُ عِندَ اللِّقَاءِ بَينَ الْجَيشَينِ فهُزِمَ الْكُفَّارُ هَزِيمةً نَكْرَاءَ فِى أَوَّل مَعركَةٍ بَينَ الْكفَّارِ والْمسلِمينَ . . وفى ذَلكَ نزلَ قَولُه تعَـالَى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1] .

---

(١) « يغشيكم » : أى جعله غاشياً عليكم كالغطاء . « أمنة » : أمناً من الله وتقوية لكم . « رجز الشيطان » : أى وسوسته وتخويفه إياكم . « وليربط »=

٥ ـ جُنودُ الله تَنْصر مَحَمَّدًا على الْكَافِرينَ أَثناءَ الْهِجرَة :

قَرَّرَتْ قُريشٌ قَتْلَ مُحمَّد ـ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ـ فَأَحاطَ شَبَابُهَا بِدارِه ، لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ خَرَجَ مِنْ بَينِهِمْ وقَدْ أَغْشَى اللهُ أَبصارَهُم ، واخْتَفَى فِى غَارِ حِرَاء وصَاحِبَه أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْه ـ يَخْشَى أَنْ ينظُر الكفَّارُ الَّذينَ يُطارِدُونَهُمْ إِلى دَاخِلِ الْغَارِ فيكْتَشِفُونَهُمَا ولكنَّ جُنودَ اللهِ صَرفَتْهُم عَنِ النَّظَرِ إِلَى دَاخِلِ الْغَارِ .

وَطَارَدَ الْفَارِسُ الْمُدرَّبُ سُراقَةُ بنُ مَالِكٍ الرَّسولَ وَصَاحِبَه بَعْدَ خُرُوجِهمَا مِنَ الْغَارِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمَا سَاخَتْ قَوَائِمُ فَرسِهِ فى الرِّمَالِ ، حَتَّى لَامَسَتْ بَطْنُ الْفَرَسِ الْأَرْضَ ، وسَقَط مِن فوْقِ فَرَسِهِ ، فَأَخذَ سُرَاقَةُ يَطْلُبُ مِنْ رسُولِ اللهِ الْأَمَانَ . وَإِلَى هَذَا تُشِيرُ الآيَةُ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِ لَاتَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

= يشد على قلوبكم ويقويها باليقين. «الرعب» : الخوف والفزع والانزعاج . « كل بنان » كل الأطراف أو كل مفصل . سورة الأنفال : الآيتان (١١ ، ١٢) .

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

سُؤَالٌ وَجَوابٌ :

قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فيقُولُ : وكَيفَ أَجْعَلُ إِيمَانى بِوُقُوعِ هَذهِ الْخَوَارِقِ كَإِيمَانِ مَنْ شَاهَدَهَا ؟ ! والْجَوابُ : بالتَّفكُّرِ فِى الْأَمْرِ . واسْتِخْدامِ الْعَقْلِ نَصِلُ إِلَى هَذَا الْإِيمَانِ ، فَمَثَلًا خَارِقةُ الرِّيَاحِ والْجُنُودِ الَّتى لَمْ تُرَ ، وَخَارِقَهُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ ، وغَيرِهِمَا مِنَ الْخَوارِقِ ، لَقَدْ وَقَعَتْ هَـذِهِ الْخَوارِقُ أَمَامَ مِئَاتِ وآلَافِ الْمُسْلِمِينَ والْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ نزلَ قُرآنٌ سَجَّلَ هَذَا الَّذِى وَقَعَ ، وسَمِعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَسَمِعهُ الْكَافِرونَ . فَصدَّقَ الْمُسْلِمُونَ ماذَكَره القُرآنُ مِنْ وُقُوعِ تِلْكَ الْخَوارِقِ أَمَامَهُم ، فَثَبتُوا عَلَى إِيمَانِهِمْ . وعِبَادَتِهِمْ . وجِهَادِهِمْ ، وَصَدَّق الْمُشْرِكُونَ بِمَا حَدَثَ ، فَلمْ يُكَذِّبُوه ، بَلْ فَسَّرُوا الانْشِقَاقَ وَبَاقِى الْخَوارِقِ بِأَنَّهُ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، ثُمَّ تحوَّلُوا بَعدَ ذَلكَ

---

(١) « السكينة » : هى الطمأنينة . « أيده » : أى قواه . سورة التوبة : الآية (٤٠) .

إلى الإيمانِ والإسلامِ ، وأصبحُوا هُمُ الْحملةَ لِهذا الدِّينِ إلى مَشارِقِ الْأَرضِ ومَغارِبِها .

ولقدْ حفِظَ اللهُ القُرآنَ مِنْ كُلِّ تبْدِيلٍ وتحْرِيفٍ ، فأنتَ ترَى أنَّ النُّسْخةَ مِنَ الْقُرآنِ الموجُودةَ فِى أمْريكا ، والصِّينِ ، والْهندِ ، ورُوسيا ، وأُوربا ، وأفريقِيا ، هِى نفْسُ النُّسخةِ الَّتى كانَ يقرأُها الآباءُ ، والأَجْدادُ فِى مَشارِقِ الأَرْضِ ومَغارِبِها ، وهى نفْسُ النُّسْخةِ الَّتى نزلتْ على مُحمَّدٍ رسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلَّمَ - وبِهذا نعْرِفُ أنَّ الْخوارِقَ البيِّنةَ سُجِّلتْ فِى أعْظَمِ سِجلٍّ ، أجْمعَ النَّاسُ علَى اختِلافِ أجْناسِهِمْ وأوطانِهِمْ وأزْمانِهِمْ على صحَّةِ سَندِهِ .

ولَو أنَّ الْقُرآنَ أخبرَ بِأنَّ حادِثةً وقعتْ لِلنَّاسِ وهى لَمْ تقعْ ، مِثْلَ انْشِقاقِ القَمرِ ، أو تَسْلِيطِ الرِّياحِ علَى الْمُشْرِكِينَ فِى غزْوةِ الْأَحْزابِ ، لَكذَّبَ بِها الْكافِرُونَ والْمُسلِمُونَ ، وعِنْدئِذٍ لا يَبْقى أحَدٌ علَى الْإسْلامِ ، لكِنَّ الَّذى حدَثَ هُو الْعكْسُ ، فدلَّ ذلِك علَى أنَّ كُلَّ ماسَجَّلَهُ الْقُرآنُ هُو الْحقُّ الَّذى وقَع وشاهَدَهُ وصَدَّقَهُ الْمُسْلِمُونَ والْكافِرُونَ . وحفَظَهُ اللهُ لَنا فى الْقُرآن بدُون تحْريف أو تبْدِيل .

بَيِّنَةُ تَغَيُّرِ نِظَامِ الخَلْقِ

مِنَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ

وقَدْ حَفِظَ الْمُسلِمونَ أَقْوالَ رَسُولِهِمْ ، وَأَعمَالَه وتَقْرِيرَاتِهِ ، وَحَفِظُوا أَوْصَافَهُ الخُلُقِيَّةَ والْجَسَدِيَّةَ ، وكُلَّ مَا يتَّصِلُ بِهِ ، وَوَصَفُوا الْخَوارِقَ الَّتى أَجرَاهَا اللهُ عَلى يَدِهِ ، والَّتى كَانتْ سبَباً فِى إِسْلامِ الْكَثيرِ مِنهُم ، وتَنَاقَلُوا ذِكْرَهَا جِيْلاً بَعدَ جِيلٍ ، وانبَرى عُلُمَاءُ الْحَدِيثِ يُدَقِّقُونَ فِى الرِّوايَاتِ فِى كُلِّ جِيلٍ ، ويَضْبُطونَ الأَلْفَاظَ ، ويَتَحرَّونَ السَّنَدَ .

وَلقدْ حَدَثَتْ خَوارِقُ كَثِيرةٌ علَى يَدِ رسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - ذُكِرَتْ فِى كُتُبِ الْحَدِيثِ ، نَذْكُرُ مِنْهَا الخَوَارِقَ التَّاليةَ :

١ - تَكثِير الْمَاءِ الْقَلِيلِ :

كانَ الْمسلِمونَ بِحَاجَةٍ إِلى مَاءٍ وهُمْ فِى الْمدينَةِ للوضُوءِ ، قَالَ أَنَسٌ - رَضى اللهُ عنه - : « أُتى النَّبىُّ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - بإِنَاءٍ ، وهُو بالزَّوراءِ مَعَ

أَصْحَابِهِ ، فوضَعَ يَدَهُ فِى الإِنَاءِ . فجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَينِ أَصابِعِهِ ، فَتَوضَّأَ الْقَومُ ، قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثلاثمائة »[١] .

وحَدَثَ مِثلُ هَذَا والرَّسولُ مُسَافِرٌ مَع سَبْعِين مِنْ أَصْحَابِهِ . رواه البخارى .

وَحَدَثَ مِثلُ هَذَا فى الْحُدَيْبِيَةِ والْمُسْلِمُــــونَ أَلْفٌ وأَرْبَعِمَائة – رواه البخارى – فزَادَ مَاءَ الْبِئْرِ .

وحَدَثَ مِثْلُ هَذَا أَيضاً فِى سَفَر الرَّسُولِ – صلَّى اللهُ عليه وآلهُ وسَلَّمَ – معَ أَصْحَابِهِ ، عِنْدَمَا مَسحَ عَلَى مزَادَتَىْ امْرَأَةٍ كَانَتَا فَارِغَتَينِ مِنَ الْمَاءِ ، فامْتَلأَتا فَشَرِبَ الْمسلِمُونَ وَكَانَ عددُهم أَربعِينَ رجُلاً ، ثمَّ مَلأَ كُلٌ قربَتَهُ فَعَادَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ : لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ أَو هُو نَبِىٌّ كَمَا يَقُولُونَ ، فَأَسلمَ قَومُها[٢] .

٢ – تكثيرُ الطَّعَامِ القليل :

كَانَ الرسولُ – صلى الله عليه وآله وسلمَ – جَائعاً .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى .

فجَاءَهُ أَبُو طَلْحَةَ بِبِضْعَةِ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ ، فأَمَرَ الرَّسُولُ بِفتِّهَا ودعَا اللهَ ، وأَمَرَ أَصْحابَهُ أَن يَأْكُلوا مِنهَا عَشَرَةً عَشَرَةً ، حتَّى شَبِعَ الجَمِيعُ ، وكانَ عددُهُم سَبْعِينَ أَو ثَمانِينَ رَجُلاً .

واشتَدَّ الجُوعُ علَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - وأَصْحَابِهِ وهُم يَحْفرُونَ الخَنْدَقَ ، فذَبَحَ جَابِرٌ - رضى الله عنه - شَاةً لِرَسُولِ الله وبعضِ أَصْحَابه ، فَنَادَى الرَّسولُ - عليه وعلى آله الصلاةُ والسلامُ - أَهْلَ الْخَنْدَق وكَانُوا أَلفاً ، فبَارَكَ اللهُ اللَّحمَ ، والخُبْزَ ، حتَّى شَبِعُوا جَمِيعاً[1]

فِى غَزْوةِ الْخندَقِ ، وَفِى غَزوةِ تَبُوك ، أُصِيبَ الْمُسلِمُونَ بِمَجاعَةٍ فاستأْذَنُوا الرَّسُولَ أَنْ يذْبحُوا الإِبِلَ ، فَاقْترحَ عُمَرُ - رضى الله عنه - أَنْ يَجْمَعَ الْمسْلِمُونَ بقَايَا طعَامِهِمْ ويَدْعُو الرَّسُولُ بِالبَرَكَةِ ، فوافَقَ الرسولُ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - علَى هَذَا ، فَبارَكَ اللهُ لَهُمْ فِى الطَّعَام ، فأَخَذُوا فِى أَوْعِيتِهِمْ حتَّى ما تَركُوا فِى العَسْكَر

(١) رواه البخارى .

وِعاءً إلا مَلَؤُهُ[1] . فقَالَ الرسولُ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنى رَسُولُ اللهِ .

٣ - حنِينُ جِذْعِ النَّخْلَةِ وتَسْبِيحُ الطَّعَامِ :

لَمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - الاسْتِنَـادَ فِى خُطْبَةِ الجُمُعَـةِ إِلَى جِذْعِ النَّخلَةِ ، الَّذى كَانَ يَسْتَنِدُ إِليهِ ، بعْدَ أَنْ صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ ، حَنَّ الْجِذْعُ كَحَنينِ النَّاقَةِ ، حتَّى كَادَ يَتَصَدَّعُ ، فجَاءَ إِليه رَسُولُ اللهِ ، وضَمه حَتَّى سَكَنَ[2] .

وروى البُخَارِى والتِّرمِذىُّ : أَنَّ أَصْحَابَ رسُول اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - كانُوا يسمَعُونَ تَسبِيحَ الطَّعَامِ وهُو يُؤْكَلُ بِحضْرَةِ رسُولِ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - .

٤ - حِمَايَةُ الرَّسُول مِنْ أَعْدَائِه :

أَقْسَمَ أَبُو جَهْـلٍ ؛ أَنْ يَطَأَ رَقَبَـةَ مُحَمَّد بِقَدَمِهِ إذا رَآه يُصَلِّى ، فَرآهُ يُصَلِّى ، فذَهَبَ إِلى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - لِيُنَفِّذَ وَعْدَهُ ، فَعادَ عَلى عَقِبِهِ وهُوَ

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى والنسائى والترمذى .

يَتَّقِي بِيَدَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَالَكَ ؟ قَالَ : إِنَّ بَيْنِي وبَيْنَهُ لخَنْدَقاً مِنْ نَارٍ وهَوْلاً وأَجْنِحَةً .

وتآمَرَتْ يَهُودِيَّةٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - فَدسَّتِ السُّمَّ فِي شَاةٍ قَدَّمَتْهَا لِرَسولِ اللهِ فَعَلِمَ أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَمَجَّهَا ، بَيْنَمَا أَصَابَ السُّمُّ بَعضَ أَصْحَابِهِ .

٥ - إِخْبَارُه بِالْغَيبِ :

لقَدْ أَخبَرَ الرَّسولُ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - أَصْحَابَهُ بِمَا هُو كَائِنٌ فِي حَيَاتِه ، وبَعْدَ موتهِ ، إِلَى قِيَام السَّاعَةِ .

لَقدْ كَانَ سَبَبُ إِسْلاَم شَعْبِ الْيَمَنِ أَنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، أَخْبَرَ الْفُرْسَ واليَمَنِيِّينَ بِأَنَّ مَلِكَ الْفُرْسِ قَدْ قَتَلَهُ اللهُ انْتِقَاماً لِرَسُولِهِ - عليه وآله الصلاة والسلام - وَحَدَّدَ الرَّسُولُ اللَّيلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا كِسْرَى مَلِكُ الْفُرْسِ ، فَكَانَ هَذَا سَبباً فِي إِسْلاَمِ شَعْبِ اليَمَنِ وإِسْلاَمِ الفُرْسِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْيَمَنِ ، ودَخَلَ الْجَمِيعُ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً .

البِشَارَاتُ فِي الكتُبِ السَّابقَةِ

لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يزعُمَ أَنَّ مُحمَّدًا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هُو الَّذي كَتَبَ لليَهُودِ ، والنَّصارَى ،والْمَجُوسِ ، والْهَنْدُوسِ فِي كُتُبهمُ المقَدَّسَةِ : أَوصَافَهُ ، واسْمَهُ ، وَأَوصَافَ زَمَنهِ ، وبَلادَهُ الَّتي تَشهَدُ لَه ، بِأَنَّه رَسولٌ مِن عِنْدِ اللهِ . لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ كُتِبَ فِي كُتُبِهِمْ قَبْلَ وِلادتِه بِقُرونٍ كَثيرة ، قَالَ تعالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1] .

ولَقَدْ كَانَتْ هذِه البشَارَاتُ سَبباً فِي إِقْنَاعِ أَجْيَالٍ مِنَ النَّصارَى ، والْمجُوسِ ، واليَهُودِ ، والْهُنْدُوسِ ، إِلَّا أَنَّ الَّذينَ أَصرُّوا عَلَى عَدَاوة مُحمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قَامُوا بالتَّحرِيفِ ، والتَّبديلِ لِهذه البشَاراتِ ، وبِرَغْمِ ذَلِكَ لَا تَزَالُ فِي كُتُبِهِمْ بِشَاراتٌ ، تَشْهَدُ بِصِدْقِ رِسالَةِ مُحمَّدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إِلى يَومِنَا هَذَا ، ومن تِلْكَ البشَاراتِ :

---

(١) « زبر الأولين » : أى كتب الأولين . سورة الشعراء : الآية (١٩٦) .

فى التَّوَراةِ :

جَاءَ فِى التَّورَاةِ : أَنَّ نَبِيًّا سَيظْهَرُ فِى مَكَّةَ ، (الدِّيَار الَّتِى سَكَنَهَا قيدَارُ) - وَهُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ إِسمَاعِيلَ علَيْه السلام ، وَقيدَارُ سَكَنَ مَكَّةَ ، كَمَا تَحْكِى التَّورَاةُ ذَلِكَ - وَأَنَّ اسْمَهُ يَرْتَفِعُ فِيهَا ، وأَنَّهُ يرْكَب الْجَمَلَ ، وأَنَّهُ يُحَارِبُ بِالسَّيفِ ، وَأَنَّه يَنْتصِرُ هُوَ وَأَصْحَابُه ، وأنه يُبَارَكُ عَلَيْهِ فِى كُلِّ يَوْمٍ ، (وَهذَا مَا يَفْعَلُهُ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ التَّشَهُّدِ) ، وَأَنَّ مُلُوكَ الْيَمَنِ تَأْتِيهِ بِالْقَرَابِينَ ، وَأَنَّ عَلاَمَةَ سُلطَانِه عَلَى كَتِفِه بِقَدْرِ بَيْضَةِ الْحمَامِ (وهَذِهِ العَلاَمةُ كَانتْ عَلى كِتِف رَسُول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وَهَذِه أَوصَافٌ لاَتَنْطَبِقُ إِلاَّ عَلَى مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله وسلم - .

كَمَا جَاءَ فى التَّوراةِ : أَنَّ اللهَ تَجلَّى عَلى النَّاسِ فِى أَمَاكِنَ ثَلاَثَةِ ، هِيَ :

سيْنَاءَ ، حيثُ أُعْطِىَ موسَى عليه السَّلاَمُ التَّورَاةَ .

سَاعِير (جِبَال فى فلَسْطِينَ) ، حيثُ أُعطِى الإِنْجيلُ لِعيسَى عليه السلام .

مَكَّة (فاران) ، حَيثُ نَزلَ الْقرآنُ علىَ مُحمَّدٍ عليه وعلى آله الصَّلاَةُ والسَّلامُ .

تقُولُ التَّوراَةُ الَّتى بَيْنَ يَدَىِ الْيَهُودِ إلَى يومِنَا هذَا : « جَاءَ الرَّبُّ مِن سَيْنَاءَ ، وَأَشْرَقَ لَنا مِن سَاعِيرَ ، وَتَلأْلأَ مِن جَبَلِ فارَان » ، وفارَانُ هُو الاسْمُ القَدِيمُ لِمَكَّة . كَمَا تذْكُر التَّوراَةُ نفسُها فِى سِفرِ التَّكوينِ (٢١ : ٢٢) .

وقَدْ أَشَارَ بعضُ البَاحِثينَ ، إلى أَنَّ القُرآن قَدْ أَشَارَ إلَى هَذهِ الْأَمَاكِنِ الثَّلاثَةِ بِقَولِه تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[1]

التِّين والزَّيتُون : إشَارَةٌ إلى مَنَابتِهمَا فى فَلسْطِينَ .

طُور سِينِينَ : سَيْنَاءُ .

هَذَا الْبَلدِ الأَمِين : مَكَّة .

فِى الإِنْجيل :

جَاءَ فِى إنجِيل بَرْنَابَا ، فِى البَابِ (٢٢٠) : أَنَّ

---

(١) سورة التين الآيات (١ ، ٢ ، ٣) .

عِيسَى عليه السَّلَامُ ، قَالَ لأَتْبَاعِهِ : « وَسَيَبْقَى هَذَا إِلَى أَنْ يَأْتِىَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ الَّذِى مَتَى جَاءَ كَشَفَ هَذَا الْخِدَاعَ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِشَرِيعَةِ اللهِ » . .

وَجَاءَ فِى إِنجِيلِ يُوحَنَّا : أَنَّ عِيسَى عليه السلام ، أَخبرَ قومَهُ بالنَّبِى الَّذِى سَيأْتِى بَعْدَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ لِى أَمورًا كَثِيرَةً ، أَيضاً لَا أَقُولُ لَكُمْ ، ولَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ الْآنَ أَنْ تَحتَمِلُوا ، وأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحقِّ فَهُوَ يُرشِدُكُم إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يتكَلَّمُ مِنْ نفسهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتكَلَّمُ ويُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ » .

وَمُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم - هُوَ الَّذِى جَاءَ بَعْدَ عِيسَى - عليه الصلاة والسلام - وتَكلَّم بِالْوحْىِ ، وأَخبرَ الناسَ بِالْغَيبِ الَّذِى سَيَأْتِى .

وقَالَ أَحدُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ مِنَ النَّصَارَى ، هُو الأَبُ عبْدُ الأَحَدِ دَاود الآشُورِى ، فى كِتَابهِ (الإِنجِيلُ والصلب) : إِنَّ الْعِبَارَةَ الَّتى يُردِّدُهَا النَّصَارَى الآنَ « الْمَجْدُ لِلهِ فِى الأَعَالِى وعَلَى الْأَرضِ السَّلَامُ وبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ » لَمْ تَكُنْ هَكَذَا مِنْ الْأَوَّل بَلْ كَانَتْ : « المجدُ للهِ فى الْأَعالى وعلى

الْأَرْضِ السَّلَامُ وللنَّاسِ أَحمَدُ » ، قالَ تعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[١] .

فِى كُتُبِ الْهُنْدُوسِ :

جَاءَ فِى كِتَابِ (السا مافيدا) وهُو كِتابٌ مقدَّسٌ عندَ البَرَاهِمَةِ فِى الْهِند ، فِى الفَقْرَةِ السَّادِسَةِ ، والثَّامِنَة مِنَ الجُزءِ الثَّانِى ، مَا نصُّهُ : « أَحْمَدُ تَلقَّى الشَّرِيعَةَ مِنَ رَبِّهِ وَهِىَ مَمْلُوَءَةٌ بِالْحِكْمَةِ » .

وَجَاءَ فِى كِتَابِ (ادروافيدم) ـ وهُو كِتَابٌ مقدَّسٌ عندَ الهُنُدوسِ ـ : « أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا يُبْعَثُ الْمُحَمَّدُ[٢] بَينَ أَظْهرِ النَّـاسِ ، وَعَظَمتُهُ تُحْمَدُ حَتَّى فِى الْجَنَّةِ ، وهُوَ المَحَامِدُ »[٣] .

---

(١) سورة الصف : الآية (٦) .
(٢) المحمد : أى محمد .
(٣) المحامد : أى محمد .

وجَاءَ فِى كِتَابِ (بهوش برانم) مِنْ كُتُبِ الْهُنْدُوسِ المَقدَّسَةِ : « فى ذَلِكَ الْحِينِ يُبْعَثُ أَجْنَبِىٌّ مَعَ أَصْحَابه بِاسْمِ مَحَامِد[١] الْمُلَقَّبُ بِأُسْتَاذِ الْعَالَم[٢] والْمَلِكُ يُطَهِّرُهُ بِالْخَمْسِ المُطَهَّرَة »[٣] - الجزء : ٢ - فصل ٣ عبارات٣ وما بعدها[٤] .

فِى كُتُبِ المَجُوسِ :

جَاءَ فِى كِتَابِ (زندا أَفستا) « أَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رَسُولاً هَذَا وَصْفُهُ : رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ ، ويتَصَدَّى لَه عَدُوٌّ يُسَمَّى أَبَا لَهَبٍ ، ويدعُو إِلَى إِلَهٍ ، واحِدٍ » . وصدَقَ اللهُ القَائِلُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[٥] واليَهُودُ والنَّصَارَى هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، والهُنْدُوسُ والمَجوسُ أَمَرَ الرسُولُ - صلى الله عليه وآله وسلمَ - أَنْ نَسُنَّ بِهِمْ سُنَّةَ أَهلِ الكِتَابِ ، غيرَ آكِلِي ذَبائِحِهِمْ ولاَ نَاكِحِي

---

(١) محامد : أى محمد ولكنه التحريف .

(٢) أستاذ العالم : أى رسول للعالمين .

(٣) الخمس المطهرة : الصلوات الخمس .

(٤) من كتاب التيارات الخفية فى الديانات الهندية القديمة لمؤلفه (تى محمد) .

(٥) سورة البقرة : الآية (١٤٦) .

نِسائِهِمْ ، لأَنَّه - واللهُ أَعلمُ - قَد تَطَاولَ الْعَهْدُ على كُتُبِهِمْ ، وكَثرُ فيها التَّحرِيفُ ، ولَقدْ كَانتْ هَذه البَشَاراتُ وغيرُهَا سببًا فِى إسلامِ الْكَثيرِ مِنْ أَسْلافِ اليَهُود ، والنَّصَارَى ، والمَجُوس ، والهُنْدُوس .

شهادة أحواله بصدق نبوته صلى الله عليه وآله وسلم

مَا مِنْ شَخْصٍ يتَصدَّى لِأَمرِ النَّاسِ إِلَّا وسلَّطَ النَّاسُ أَنظَارَهُم عَليهِ لِدراسَةِ أَحوَالِهِ ، فمَا تَمُرُّ الأَعوامُ إِلَّا وقدِ انْكَشَفَ علَى حَقِيقَتِه ، وخَاصَّـةً إِذَا تقَـلَّبَ بينَ أَوضَاعِ الضَّعفِ والقُوَّةِ ، والخَوفِ والْأَمْنِ ، والفَقْرِ والغِنَى ، وَقِلَّةِ الأَتْبَاعِ وكثْرَتِهِمْ ، والشِّدةِ والرَّخَاءِ ، كمَا حدَثَ فِى حَياةِ مُحمَّدٍ ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم ـ . وإِذَا تَأَمَّلنَا أَحوالَه وجَدْناهَا تشْهَدُ بأَنَّها أَحْوَالٌ لَا تَكُونُ إِلَّا لِنَبِىٍّ ، وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْأَحْوالِ :

١ ـ الصِّدْقُ :

لقَدْ شَهِدَ له قومُهُ بِالصِّدقِ فسَمَّوهُ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ بالرِّسَالَةِ (الصَّادق الْأَمِين) ولقَدْ قَالَ لهُ أَبو جَهْلٍ : إِنَّا لَا نُكَذِّبُك ، ولَكِنْ نُكَذِّبُ مَا جِئتَ بِهِ[١] فأَنْزَلَ اللهُ

---

(١) أخرجه الترمذى ، وقال ابن كثير : ورواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قَولَهُ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(١) . ولقَدْ عُرِفَ عنْه الصِّدْقُ فِى كُلِّ أُمُورِهِ حتَّى فِى مِزَاحِهِ - صـــلى الله عليه وآله وسلمَ - الأَمْرُ الَّذِى لَا يَتحقَّقُ إِلَّا لِنَبِىٍّ مُرسَلٍ .

٢ - الالتِزَامُ الكَامِلُ بِمَا يدعُو النَّاسَ إِليهِ :

إِنَّ النَّفسَ الْبَشَرِيَةَ تَكْـرهُ أَنْ يُفْرَضَ عليهَا قُيودُ الالتِزَامِ ، وخــاصَّةً إِذَا وَصَلَتْ إِلَى دَرَجَةِ التَّمَكُّنِ فِى الْمُجتَمَعِ ، وإِذَا تـأَمَّلْنَا حالَ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وجَدْنَا أَنَّ حـالَهُ يَشْهَدُ بِـأَنَّه أَتْقَى النَّــاسِ ، وأَكْمَلُهُم خُلُقاً ، وأَعْظَمُهُمْ عِبَادَةً ، كَانَ يَصُوم حَتَّى يَقُولَ أَهْلُهُ لَا يُفْطِرُ ، وكَانَ يقُوم اللَّيلَ فِى صَلَاتِهِ حتَّى تفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ ، فَقالتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غفَرَ اللهَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ ؟ فَقَال : (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟)(٢) .

---

(١) سورة الأنعام : الآية (٣٣) .

(٢) متفق عليه .

كَانَ يُنفِقُ الْمَـــالَ فَلَا يُبْقِى فِى بَيْتِه شَيْئًا ، ومَاتَ ودِرْعُه مرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِىٍّ .

وَمَا حُفِظَ عنْهُ مِنْ أَذْكَارٍ وأَدْعِيَـةٍ يشْهَـدُ أَنَّهُ كَانَ دَائِمَ الذِّكْرِ لِرَبِّه لَيْلاً ونَهَارًا ، وَعِندَ كُلِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وكَانَ معَ ذَلِكَ هُو الرَّسُولُ ، الْمُبَلِّغُ لِدِينِ اللهِ ، قَائِدُ جَيْشِ الْمُسلِمينَ ، وكَانَ الْمُسلِمونَ إِذَا حَمِىَ الوَطيسُ احْتَمَوا بِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وكَانَ مَضرِبَ المَثَلِ فِى الشَّجَاعَةِ والْإِقْدَامِ . ثَبتَ يَومَ حُنَيْنٍ مَعَ مِائَةٍ مِنْ أَصحَابِهِ لِأَربعَةِ آلافٍ مِنَ الْمُشركِينَ ، ونَصرَهُمُ اللهُ علَى عَدوِّهِم .

خَيَّره الْمُشرِكُونَ فِى مَكَّةَ بَيْنَ إِعْطَـــائِه مَا يُرِيدُ مِنْ الْمَالِ ، والْجَاهِ ، والسُّلْطَانِ ، مَعَ تَرْكِ الدِّينِ ، وَبيْنَ الْحَرْبِ ، والتَّنكِيلِ بِهِ إِنْ أَصرَّ علَى دِينِهِ ، فَاخْتَارَ أَنْ يُبَلِّغَ مَا أَمرَهُ اللهُ بِهِ . وبعد أَن خَضَعتْ لَه الدُّنْيَا ، نَزَلَ قَولُ اللهِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾ (١)

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٢٨) .

فَاخْتَرْنَ جَمِيعاً رَسُولَ اللهِ ، وزَهِدْنَ رِضوانُ اللهِ عليهِنَّ فِى الْحياةِ الدُّنْيا وزِينَتها .

لَقدْ كَانَ مَثَلاً أَعْلَى لِلحُكْمِ بينَ النَّاسِ بالْعَدْلِ ،فقَالَ : « لَو سَرقَتْ فَاطِمَةُ بنتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَها »[١]

وكَانَ مَثَلاً أَعْلَى فى كُلِّ شَىءٍ ، حتَّى أَنَّكَ تَجِدُ كُلَّ أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِرسُولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فِى أَىِّ جَانِبٍ ، فلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْلُغَ دَرَجَتَهُ . فَاجْتِمَاعُ الْمُثُلِ الْعُلْيَا فِى كُلِّ جَانِبٍ لاَ يكُونُ إلاَ لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، شَهِدَ لَهُ ربُّهُ بِقَولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢] ، وجَعَلَهُ أُسْوةً لِلنَّاسِ ، فقالَ سُبحَانَه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٣] .

٣ ـ قِيَامُه بِالرِّسَالَةِ وتَبْلِيغ النَّاسِ :

لقَدْ أَدَّى الرَّسُولُ حقَّ الرِّسَالةِ والتبليغِ ، فمَرَّةً بِاتِّصالِه الشَّخْصِى ، ومرَّةً بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الطَّعَامِ ،

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة القلم : الآية (٤) .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (٢١) .

ومرَّةً بِعرْضِ نفْسِه عَلَى الْقبَائِلِ صَابرًا ، والْقبَائِلُ تَرُدُّه وَاحِدَةً بعْدَ وَاحِدَةٍ ، وَمرَّةً بدَعْوَةِ النَّاسِ إلَى الاجْتِمَاعِ ، ومرَّةً بِالتَّصدى لِلنَّاسِ ، ومرَّة بإِرْسَالِ الدُّعَاةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، ومرَّةً بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إلَى المُلُوكِ والأُمَرَاءِ ، ومرَّة بِجِهَادِ الَّذينَ يَصُدُّونَ عنْ سَبيلِ اللهِ ، ولَقدْ وَاجه الكُفَّارُ هَذه الدَّعوةَ و أَهْلَهَا بِأَلْوَانٍ مِنَ الْقَسْوةِ ، والشِّدَّةِ ، والْأَذَى ، فَهَــذه قُرَيْشٌ تهزَأُ بِرُسُول اللهِ و أَصْحَـابِه ، ثُمَّ تَفْتكُ بِبعْضِ الْمُسلِمينَ حَرْقاً ، وقَتْلاً ، وتَعْذِيباً ، وتُحَاصِرُ رَسُولَ اللهِ — صلى الله عليه وآله وسلم — ثَلَاثَ سَنَواتٍ فى شِعْبِ أَبى طَالِب ، حتَّى أَكَلَ المُسْلِمُونَ الْجِلْدَ والشَّجَرَ ويَشْتَدُّ الْأَذَى ، فيُهَاجِرُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ — صلى الله عليه وآله وسلم — مَرَّتينِ إلى الْحَبَشَةِ فِرَارًا بِدِينِهِمْ ، ثُمَّ إِلَى الْمدينةِ ، وتَآمَرتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللهِ ، ولكنَّ اللهَ أَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ ، لِلنَّجَاةِ مَنْ كَيْدِهِمْ . بَلَّغَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّه حَتَّى الَّذى فِيهِ عِتَابٌ لَهُ مِن رَبِّه مِثْلُ قَولِهِ تَعَالَى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَـآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا

مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾[١]
وذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ يدْعُو بَعْضَ كِبَارِ الْكُفَّارِ ، فجَاءَهُ الْمُسْلِمُ الْأَعْمَى ابْنُ أُمِّ مكْتُوم يَسْأَلُهُ ، فَكرِهَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أَنْ يَشْغَلَهُ بِسُؤَالِهِ عَنْ دَعْوةِ كُبَرَاءِ الْقَومِ الَّذينَ إِذَا أَسْلَمُوا كَانَ إِسْلَامُهُمْ خَيراً لِلْمُسلِمينَ ، فلَمْ يَزِدْ رسُولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - علَى أَنْ عَبَسَ بِوجْهِهِ ، وَابْنُ أُمِّ مكْتُومٍ أَعْمَى ، لا يَرَى وَجْه الرَّسُول العَابِسِ ، فلاَ يُؤذِيه ذَلِكَ ، ولَكنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنزَلَ عليهِ الْعِتَابَ فبَلَّغَه الرَّسُولُ كَمَا نَزَلَ[٢] .

إِنَّ سَعْيَ مُحَمَّد - صلى الله عليه وآله وسلم - كَانَ مُنَصباًّ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا علَى أَنْ يُبَلِّغَ مَا أَمَرهُ بِه ربُّه أَنْ يُبَلِّغَهُ مَهْمَا كَانَتِ الْمَصاعِبُ والْعَقَبَاتُ ، وفي

(١) « عبس » قطب وجهه الشريف . « تولى » : أعرض . « يزكى » : أى يتطهر بتعليمك إياه من دنس الجهل . « تصدى » : أى تتعرض له بالإقبال عليه . « تلهى » : تتشاغل وتعرض . سورة عبس . الآيات (١ - ١٠) .

(٢) رواه الترمذى وأبو يعلى . قال الحافظ العراقى : رجاله رجال الصحيح .

حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، قالَ لِلْمُسْلِمينَ : (أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟) فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ إِلَيْهِمْ دِينَ اللهِ . فيقُولُ : (اللَّهُمَّ اشْهَدْ)[1] . إنَّ حَالَةَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فِى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهَا تَشْهَدُ بِأَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْأَحْوالِ لَا يَكُونُ إِلَّا نَبِيًّا رَسُولًا .

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

أحوال أتباعه وأعدائه الشاهدة بصدق رسالته

أَتْبَاعُهُ :

إنَّ قُدْرَةَ الأُسْتَاذِ تَظْهَرُ فِى تَلَامِيذِهِ . وَمَهَارَةَ الْمُدرِّبِ تظْهَرُ عَلَى مَنْ دربَّهُمْ ، وصِدْقَ الرَّسُولِ يَظْهَرُ فِى أَحْوالِ أَتْبَاعِهِ ، فَهُمْ الَّذِينَ عَاشُوا مَعَهُ . وربَّاهُم ، وزكَّاهُم ، وعلَّمَهُم . ومَنْ تَأَمَّلَ فِى أَحْوالِ الصَّحَابَةِ ، يَجدُ مِصْدَاقَ وَصْفِ اللهِ لَهُمْ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] ، ولقَدْ شَهِدتْ شُعُوبُ الأَرْضِ فِى ذَلِكَ الزَّمانِ لِلمُسلِمينَ بِأَنَّهُمْ خَيرُ أُمةٍ عَرَفْتها الْبَشَرِيَّةُ ، ذَلِكَ لأَنَّ القَاعِدَةَ فِى مُعَامَلَةِ الشُّعُوبِ والدُّوَلِ أَنَّ أَىّ شَعْبٍ أَوْ دَولَةٍ تغْزُو دَولَةً أُخْرَى وشَعْباً آخَرَ ينتُجُ عَنْ هَذَا الْغَزْوِ كَرَاهِيَةٌ ، وحِقْدٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ . نَرَى شَاهِداً عَلَيه إلى يَومِنا بَيْنَ الْمُستَعْمِرِينَ ، والمُسْتَعْمَرِينَ ، لَكِنَّ هَذِهِ القَاعِدَةَ نُقِضَتْ مَعَ الفَاتِحِينَ الْمُسلِمِينَ ، الَّذِين سَادُوا الأَرْضَ فِى زَمَنِهِمْ ، لَقَدْ أَحْدَثَ الْفَتْحُ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١١٠) .

الإسْلامى حُبًّا ونصراً ، وولاءً ، وامْتِزَاجاً بينَ الْمُسلِمين وغَيرِهِمْ ، وأَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّعوبُ المفْتُوحَةُ تَحْمَدُ الله على أَنْ أَرْسَلَ إليهِم هَؤُلَاءِ الْفاتِحِينَ المُسلِمينَ ، وإذا بَحَثْتَ عَنِ السَّبَبِ ستَجِدُ أَنَّ الصِّرَاعَ بين النَّاسِ يكُونُ علَى الدُّنْيَا ، أَمَّا المُسْلِمُونَ فقَدْ بذَلُوا دُنْياهُم ، لإسْعَادِ النَّاسِ فِى الآخِرَةِ ، لأَنَّهُمْ آمَنُوا بِالآخِرَةِ حقَّ الإِيمَانِ ، ولأَنَّ هذَا الإِيمَانَ والسُّلوكَ كَانَا ثَمَرَةَ الاقْتِنَاعِ الكَامِلِ بِالأَدِلَّةِ الَّتِى قدَّمهَا رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على صِدْقِ رِسَالَتِه . وبِالسُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ الَّذى تجَسَّد فيه الإِيمَانُ فِى حَيَاةِ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وآله وسلمَ - .

أَعدَاؤُهُ :

بَعْدَ طُولِ الْعِنَادِ تحوَّلَ الأَعْدَاءُ إلَى أَشَدِّ الأَنْصَارِ ، وأَسْلَمَ الكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ تَصْدِيقاً لِرَسُول الله وإِيمَاناً به .

صَلاحيةُ الشريعةِ لِكُلِّ زمانٍ ومكانٍ

إنَّ وضْعَ القَوانِين والتَّنظِيماتِ لِأَيِّ شَيْءٍ، يتوقَّف عَلَى الْعِلْمِ بِحقِيقَةِ مَنْ تُوضعُ لَهُ القوانِينُ ، وبالظُّرُوفِ الْمُحيطَةِ .

والْإِنْسَانُ يجْهلُ حقِيقَةَ رُوحِـهِ . والمُستَقبلَ الَّذى سيواجِهُهُ ، لِذَالك عَجزَ الإنسانُ أَنْ يضَع تشْرِيعَاتٍ وقوانِين دائِمَةً تَصلُحُ لِكُلِّ زَمانٍ ومكانٍ . لَـكِنَّ الخَالِقَ سُبحانُه هُو العلِيمُ بِحقيقةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ . قَال تعالَى : ﴿ أَلَا يعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخبِيرُ ﴾[1]

وهُـو المَحِيط عِلْمًـا بِما كَان وما سَيكُون ، ولذِلِكَ لَا يُمكِنُ لِبشَرٍ أَنْ يَأْتِى بِشَرِيعةٍ ثَابِتَةٍ مَرِنَةٍ تَتناسبُ مع كُلِّ زمانٍ ومكَانٍ إلَّا إذَا كان مُرْسَلاً بِهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ .

وَلقَـدْ حَـكَمَ الْمُسْلِمُون مَشَـارِقَ الأَرضِ ومَغَاربَها

---

(١) سورة الملك الآية (١٤) .

مِئاتَ السِّنينَ فكَانتْ شَرِيعَةُ الإِسْلَامِ صَالِحةً لِلْحُكمِ طِوالَ القُرُونِ فى مُخْتَلَفِ البيئَاتِ والْأَماكِنِ .

ولقدْ فرضتْ شَريعةُ الإِسْلَامِ نَفْسَهَا فى زَمانِنَا هَـذَا رَغْم ضَعْفِ أَهْلِهَا ، فجعَلتْهَا الأُمَمُ الْمتَّحِدَةُ مَصْدرًا مِنْ مَصَادِرِ القَانُونِ الدَّولى ، معَ أَنَّ القانُونَ الرُّوسِى أَو الْأَمْرِيكِى لا يُعْتَبَرُ أَىٌّ مِنْهُمَا مَصْدَراً مِنْ مصَادِرِ القَانُون الدَّولِى ، . . ولَقدْ شَهِد خُبَراءُ القَانُونِ الدَّولى (الأَجانِبُ) بِأَنَّ الشرِيعة الإِسْلَامِيَّةَ صَالِحَةٌ لِكُلِّ زَمان .

قال الدُّكتور (ايزيكو انسابا توحين) أَحدُ عُلَماءِ القانُون « إِنَّ الْإِسْلَامَ يَتَمشَّى معَ مُقْتضَياتِ الحَاجاتِ الظَّاهِرةِ فهُو يسْتَطِيعُ أَن يتطوَّر دُون أَنْ يتَضاءَل فِى خِلالِ القُرُونِ ويَبْقَى مُحتفِظًا بِكَامِلِ مالَه مِنْ قُوَّةِ الْحياةِ والمُرونَةِ . فهُو الَّذى أَعْطَى لِلْعَالَم أَرْسَخَ الشَّرَائِع ثَبَاتاً وشرِيعتُهُ تَفُوقُ فِى كَثيرِ الشَّرَائِع الأُورُبيَّةَ .

أَما الْمُؤْتَمرُ الدَّولى لِلقَانُونِ الَّذى انْعَقَدَ فِى (لَاهَاىْ) عام ١٩٣٢ فهُوَ الَّذى طَالبَ الأُمَمَ المتَّحِدَة ، أَنْ تجْعَلَ

الشَّريعة الإِسْلَامية مَصْدَرًا مِنْ مصادرِ القَانون الدَّولِى بعد أَنِ اقْتنعَ خُبرَاءُ القانُونِ الدَّولِيِّينَ بعظَمَةِ الشَّريعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ . وفائِدتِهَا للنَّاسِ فِى هَذَا الزَّمَانِ .

وأَمَّا المُؤتَمَرُ الدَّولى لِلقَانونِ الْمقَارَنِ الَّذى انْعقَدَ فى بَاريسَ عامَ ١٩٥٢م. فقَدْ طالَبَ مِنَ الجِهَاتِ القَانُونِيَّةِ ، الدَّولِيَّةِ أَنْ تسْمح بانْعِقَادِ المُؤتَمرِ الدَّولى لِلفِقْهِ الإِسْلَامِى فِى كُلِّ سَنَةٍ بدَلاً مِنْ عقْدِهِ فِى كُلِّ عَشْرِ سَنَواتٍ وعلَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُم يَرْغَبُونَ أَنْ يتَعَلَّمُوا الْفوائِد الكثيرة مِنْ دِراسَتِهِمْ لِلشَّريعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فقَالُوا فِى مُؤتمرِهِمْ : « نَظراً لِما ثَبتَ لِلمُؤْتَمِرين مِنَ الفَائِدَةِ المُحقَّقَةِ الَّتِى أَتَاحَتْهَا الْبُحُوثُ الَّتِى عُرِضَتْ فِى خَلَالِ أُسْبُوعِ (الْفِقْهِ الإِسْلَامِيِّ) وَمَا دَارَ حَوْلَ هَذِهِ الْبُحُوثِ مِنْ مُناقَشَاتٍ أَثْبَتَتْ بِجَلَاءٍ أَنَّ (الْفِقْهَ الإِسْلَامِيَّ) يقُومُ على مبادئ ذَاتِ قِيمَةٍ أَكيدَةٍ لَا مِرْيَةَ فِى نَفْعِها ، وإِنَّ اخْتِلَافَ الْمَبادِىءِ فِى هذا الْجِهازِ التَّشْرِيعِيِّ الضَّخْمِ ، مُنْطوٍ عَلَى ثَرْوَةٍ مِنَ الآرَاءِ الفِقْهِيَّةِ ، وعلَى مجْمُوعَةٍ مِنَ الأُصُولِ الْفَنيِّةِ الْبدِيعَةِ التَّى تُتِيحُ لِهَذا الْفِقْهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ بمُرُونَة هائِلة لِجميع

مَطالِبِ الحياةِ الحَدِيثةِ ، فَإِنَّ أَعْضَاءَ الْمُؤتَمرِ يُعْلِنُون رَغْبَتَهُم فِى أَنْ يَظَلَّ أُسْبُوعُ الفِقْهِ الإِسْلَامىِّ يُتابِعُ أَعْمَالهُ سَنَةً فسَنَةً » .

فَمِنْ أَيْن لِأُمِّىٍّ بُعِثَ منذُ أَلْفٍ وأَرْبعِمِائةٍ عَامٍ أَنْ يأْتىَ بِهَذا التَّشْرِيعِ لو لَمْ يكُنْ مُرسَلًا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ .

وعجَباً لِلْجهَلَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ ، الَّذينَ يُريدُونَ إِلْغاءَ الشَّرِيعَةِ الإِلَهيَّةِ واسْتِبْدالَهَا بالْقَوانِينِ الْبَشَرِيَّةِ .

إخْـــلاصُ العبَـــادَةِ

أَوَّلاً : مَاهى الْعِبادَةِ :

هِى اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَايُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ وأَمَر بِهِ فَكُلُّ مَا أَمَرَنَا اللهُ بِهِ فَفِعْلُهُ عِبَادَةٌ وكُلُّ مَا نَهَانَا عنْهُ فالابْتِعَادُ عَنْهُ عِبَادَةٌ ، والعَادَاتُ المَشْرُوعَةُ مِثْلُ : الأَكْلِ ، والشُّرْبِ ، واللِّبَاسِ . تُصْبِحُ عِبَادَاتٍ إِذَا قُصِدَ بِهَا امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ سُبحانَهُ وتَعَالَى . والاسْتِعَانَةُ بها عَلَى طَاعَتِهِ .

ولاتَكُونُ الْعِبَادَةُ صَحِيحَةً إِلَّا إِذا كَانَتْ خَالِصَةً له ، مُوافِقَةً لِشَرْعِهِ وجَمَعتْ بَينَ غَايَةِ الخُضُوعِ والذُّلِّ للهِ ، مَعَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ لهُ . قَالَ اللهُ تَعالَى فِى وَصْفِ الْمؤمِنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[1]

والْعِبادَةُ : هِى الغَايَةُ التَّى خَلَقَ اللهُ لَهَا الْخَلْقَ ، وأَرْسَلَ لَهَا الرُّسُلَ ، وإِذَا كَانَ اللهُ قدْ سخَّر لِلإِنْسان

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٦٥) :

مَا فى السَّمَاوَاتِ وما فى الأَرْضِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِيُسَخِّرَ الإِنسَانُ هَذَا كُلَّهُ فِى طَاعَةِ اللهِ سُبحَانَه وتَعَالَى ، قالَ اللهُ تعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[1] . وقَالَ تعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] وقالَ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[3]

ولِلْعِبَادَةِ شَرطَانِ أَسَاسِيَّانِ لا تُقْبَلُ إلاَّ بِهِمَا :

١ ـ الإِخْلاصُ لِلهِ : فَلاَ يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ ، ولا يُقْصَدُ غيرُ وجْهِ الله ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى ، قال اللهُ تعَالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

---

(١) « سخر » : ذلل لكم مافى الكون لتنتفعوا به . « أسبغ » : أتم وأوسع وأكمل نعمه . « ظاهرة وباطنه » : النعم الظاهرة : منها حسن الصورة وتسوية الأعضاء واعتدال القامة. والباطنة : منها العقل والهداية إلى الحق . سورة لقمان : الآية (٢٠) .

(٢) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

(٣) « الطاغوت » : هو كلما يعبد من دون الله من بشر أو حجر أو بقر أو غير ذلك ، حاشا من سبقت لهم من الله الحسنى ، كالملائكة وعيسى بن مريم عليهما السلام . سورة النحل : الآية (٣٦) .

لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[١]

٢ - مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ - صلى الله عليه وآله وسلم - أَى لاَ يُعْبَدُ اللهُ إلاَّ بِمَا شَرَعَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٢] وَقالَ تعالَى فِى وَصْفِ الكَافِرِينَ : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٣]. فمَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ أَربَعَ رَكْعَاتٍ مَثَلا بطَلَتْ صَلاتُه ومَنْ صَلَّاهَا ثَلَاثاً فهِىَ صَحِيحَةٌ ، ذَلِكَ لِإنَّ الثَّانِيَةَ مُوافِقَةٌ لِمَا جَاءَ بِه الرَّسُولُ - صلى الله عليه وآله وسلم - ، والأُولى مُخَالِفَةٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، قَالَ عليه وعَلىآله الصَّلاةُ والسَّلام : (مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ ردٌّ)[٤] .

---

(١) سورة البينة : الآية (٥) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٣١) .

(٣) سورة الشورى : الآية (٢١) .

(٤) « فهو رد » : مردود وباطل . رواه البخارى ومسلم .

ثَانِيًا : أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ :

وتَتحقَّقُ العُبُوديَّةُ للهِ سُبحَانَهُ بِتمَامِ خُضُوعِ الإِنْسَانِ بَاطِناً وظَاهِرًا اعْتِقَاداً وقَوْلاً وعَمَلاً لِلمِوْلَى سُبْحَانَهُ .

وَالعِبَادَةِ أَنْواعٌ : مِنْهَا :

أ) عبَادَاتٌ اعتقَادِيَّةٌ

١ - اعْتِقَادُ أَن لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ :

وذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ الَّذِى لاَ يَبْقَى مَعَهُ رَيْبٌ ولا شَكٌّ . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[1] وَقَالَ تعَالَى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]

٢ - مَحبَّةُ اللهِ عزَّ وجَلَّ :

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[3] وهَى الْمَحبَّةُ المُقْتَرِنَة بالذُّلِّ والخُضُوعِ والاسْتِسْلَامِ

---

(١) سورة محمد : الآية (١٩) .

(٢) سورة الرعد : الآية (١٩) .

(٣) سورة البقرة : الآية (١٦٥) .

والَّذى لاَ يَكُونُ إِلّا باتِّبَاعِ الرَّسُول - صلى الله عليه وآله وسلم - قال اللهُ تعالَى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[1] ، وَمِنْ مُقْتَضَى حُبِّنَا لِلهِ أَنْ نُحِبَّ رَسُولَه - صلى الله عليه وآله وسلم - و أَنْ نُحِبَّ دِينَ الإِسْلَامِ .

وأَمَّا مَحبَّةُ الأَبْنَاءِ والْأَهْلِ فلَيسَتْ عِبَادَةً لَهُمْ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَلْزِمُ الخُضُوعَ وَالإِسْتِسْلَامَ الْكَامِلَ لَهُم ، وَهى مَع ذلِكَ لا تَكُونُ أَكْبَر مِنْ مَحبَّةِ الْمُؤمنينَ للهِ ولِلرَّسُولِ ، فَإِنْ تَعَارَضَ حُبُّ اللهِ ورُسُولِهِ مَعَ غَيْرِهِ سَقَطَ الحُبُّ الَّذى لغَيرِ اللهِ مِنْ قَلْبِ الْمُؤمِنِ . . قَالَ اللهُ تعالَى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ وَٱللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٣١) .

(٢) « اقترفتموها » : أى اكتسبتموها . « كسادها » : أى بوارها وعدم رواجها عند الناس . « فتربصوا » : انتظروا . « الفاسقين » : الخارجين عن دين الله سبحانه وتعالى . سورة التوبة : الآية (٢٤) .

٣ - الْخَوفُ مِنَ اللهِ وخَشْيَتُهُ مَعَ الرَّجَاءِ والطَّمَعِ فى رَحْمَتِهِ :

قالَ تعالَى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]. وقَالَ تعالَى فى وَصْفِ الْمُؤمِنينَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾[2]

وَقَدْ يَخَافُ الْعَبْدُ مِنْ أُمُورٍ دِنْيَويَّةٍ ولَكِنَّ هَذَا الخَوْفَ لَيسَ عِبَادَةً لِتَلْكَ الأَشْيَاءِ لِأَنَّه خَوفٌ فِطْرِىٌّ مِنْ أَسْبَابٍ يَعْتقِدُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذى قَدَّرَهَا ، وَلَا يَصِلُ هَذَا الْخَوْفُ فى قَلْبِ الْمُؤمِنِ إِلَى دَرَجَةٍ أَكْبَرَ مِنْ خَوفِ اللهِ سُبحَانَه وتَعَالى إِذْ أَنَّه يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانُه قَادِرٌ عَلَى إِنْقَاذِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]

---

(١) « قانت » : مطيع خاضع عابد . « ءاناء الليل » : ساعاته وأوقاته. سورة الزمر : الآية (٩) .

(٢) « مشفقون » : خائفون استعظاماً لله تعالى . سورة المعراج : الآيتان (٢٧ ، ٢٨) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٧) .

٤ - الْإِنَابَةُ إِلَى اللهِ :

وَهِيَ الْإِسْرَاعُ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ والرُّجُوعُ إِليهِ واسْتِغْفَارُهُ وَطَلَبُ تَوبَتِهِ ، قال تَعالَى : ﴿ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَاتُنصَرُونَ ۝ وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ . وقَالَ تَعَالَى فِى وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٥ ـ التَّوكُّلُ عَلَى اللهِ والاسْتِعَانَةُ بِهِ :

وحَقِيقَةُ التَّوكُّلِ : هُو صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلبِ على اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِى اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ ، ودَفْعِ المَضَارِّ مِنْ أُمورِ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ .

---

(١) « أنيبوا » : ارجعوا إلى ربكم بالتوبة .. « وأسلموا له » : أخلصوا له عبادتكم . « بغتة » : فجأة . سورة الزمر : الآيتان (٥٤ . ٥٥) .

(٢) « لم يصروا » : لم يستمروا بل يقلعوا عن الفاحشة . وهى العصية الكبيرة المتناهية فى القبح . سورة آل عمران : الآية (١٣٥) .

وَلَقَدْ قَدَّرَ اللهُ وَنَظَّمَ الْكَوْنَ بِأَقْدَارٍ وَسُنَنٍ وَأَسْبَابٍ ، وَتَعَبَّدَنَا بِالْأَخْذِ بِهَا ، وَمِنْ أَقْوَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ : التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ، قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1] . وَقَالَ تعالَى : ﴿ ... إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[2] . . وقَال تعالَى : ﴿ وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] . وَفَرَضَ اللهُ عَلى عِبَادِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولُوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[4] وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : (... وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ...)[5] .

(ب) عبَادَاتٌ قَوْلِيَّةٌ

١ - النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ :

إِذْ لَا يَصِحُّ إِسْلَامُ الْمَرْءِ مَالَمْ يَنْطِقْ بِالشَّهَادَتَيْنِ

(١) سورة طلاق : الآية (٣) .

(٢) سورة يونس : الآية (٨٤) .

(٣) سورة التغابن : الآية (١٣) .

(٤) سورة الفاتحة : الآية (٥) .

(٥) جزء من حديث صحيح رواه أحمد والترمذى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

إِلَّا الأَخْرَسَ فَيُكْتَفَى مِنْهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِيمَانِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلمَ ـ : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)[1] .

٢ ـ ذِكْرُ اللهِ والتَّسْبِيحُ والاسْتِغْفَارُ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[3]

---

(١) « إلا بحق الإسلام » : أي الحدود التي يوجب الإسلام إقامتها على كل مسلم ثبتت عليه بوجه شرعي ، كحد القتل والزنا والسرقة وغيرها من الحدود . الحديث متفق عليه .

(٢) « سبحوه » : نزهوه عما لايليق به من النواقص . « بكرة » : أول النهار . « أصيلا » : آخر النهار. سورة الأحزاب : الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

(٣) سورة هود : الآية (٣) .

وَقالَ تعَالَى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[١] .

٣ - الدُّعَاءُ والاسْتِغَاثَة :

إنَّ الَّذى يَدْعُو ويَسْتَغِيثُ لَا يكُونُ عَاقِلًا إلاَّ إذَا دَعا مَنْ يَسْمَعُهُ وَيَسْمَعُ غَيرَهُ فِى كُلِّ وَقْت ، وَفى كُلِّ مَكَانٍ ، وَبِأَىِّ لُغَة ، وَأَيضاً لاَ يَكُونُ عَاقِلاً إلَّا إذَا دَعَا مَنْ يَعْتَقِد أَنَّهُ قَادرٌ عَلَى إجَابَةِ دَعْوَتِه ، وَتَفْرِيج كُرْبَتِهِ ، وَقَضَاءِ حَاجَتِه بِأَسْبَابٍ غَيْبِيَّةٍ ، وَقُدْرَة خَارِقَةٍ تَقْدرُ عَلَى التَّصرُّفِ فِى هَذَا الْكَون ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إلَّا لِلهِ ، ولَا يَكُونُ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ حَيًّا أَو مَيِّتاً ، وَمَنِ اعْتَقَدُ أَنَّ غيرَ اللهِ يَمْلِكُ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ فَتَوجَّهَ إلَيهِ بِالدُّعَاءِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٢]

---

(١) سورة النصر : الآية (٣) .

(٢) « قطمير » : القشرة الرفيعة التى تخلف نواة الثمرة . سورة فاطر : الآيتان (١٣ ، ١٤) .

وقالَ الله تعالَى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[١] . . وقالَ تعالَى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »[٢] ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِى يَتَوَجَّهُ بِالدُّعَاءِ لِغَيرِ اللهِ جَاهِلاً فَيجِبُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ وَيَجِبُ عَلَيهِ الاتِّبَاعُ وإِنْقَاذُ نَفْسِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِى الشِّرْكِ .

٤ ـ الْحَلِفُ بِاللهِ :

فالْمُسْلِمُ لا يَحْلِفُ إلاَّ بِاللهِ تَعْظِيماً لَهُ وَإِجْلَالًا ، قَالَ رَسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ »[٣] . ومَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ مُعَظِّماً لَهُ كَتَعْظِيمِ اللهِ ، خَائِفاً منه كَخَوفِهِ

---

(١) « داخرين » : أى صاغرين أذلاء . سورة غافر : الآية (٦٠)

(٢) سورة البقرة : الآية (١٨٦) .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

مِنَ اللهِ فَقَـدْ وَقَع فِي الشِّرْكِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : « مَنْ حَلَفَ بِغيرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ »(١) وَلَا يَجُوزُ الْحَلفُ بِالْأَمَانَةِ لِحَدِيثِ رسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : (مَنْ حَلفَ بِالْأَمَانَةِ فَليْسَ مِنَّا)(٢) .

٥ - الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ والْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَر :

قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣) . . وقال تعالَى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوٓا إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤) وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٥) .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد والنسائى والدارمى .

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) سورة فصلت : الآية (٣٣) .

(٤) سورة يوسف : الآية (١٠٨) .

(٥) سورة آل عمران : الآية (١٠٤) .

(م) عبادات عملية

١ - إقامة الصلاة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(١) وقال تعالى فى وصف المؤمنين : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٤) .

---

(١) سورة البينة : الآية (٥) .

(٢) سورة النور : الآية (٣٧) .

(٣) سورة الحج : الآية (٤١) .

(٤) سورة طه : الآية (١٣٢) .

٢ ـ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ :

قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[١] . وقَالَ تعالَى : ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ ... ﴾[٢] . وقَالَ تَعالَى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيماً ﴾[٣]

٣ ـ صَوْمُ رَمَضانَ :

قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤]. وقَالَ تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ

---

(١) « حنفاء » : مائلين عن الباطل إلى الإسلام . سورة البينة : الآية(٥)

(٢) سورة البقرة : الآية (١١٠)

(٣) سورة النساء : الآية (١٦٢) .

(٤) كتب » : فرض . سورة البقرة : الآية (١٨٣) .

وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[١] . .

وقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[٢] .

٤ - حَجُّ الْبَيتِ لِمَن اسْتَطاعَ إليه سَبيلاً :

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] . وقالَ تعالَى : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[٤] ، وقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : (بُنِىَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٥) .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وأحمد عن أبى هريرة .

(٣) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٤) « وأذن » : نادى فى الناس وأعلمهم . « رجالا » : مشاة على أقدامهم . « ضامر » : بعير هزيل من بعد الشقة . « فج عميق » : طريق بعيد . سورة الحج : الآية (٢٧) .

وإيتاءِ الزَّكاة ، وحَجِّ البَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[١] .

٥ - الْحُكْمُ بِمَا أَنزلَ اللهُ :

لَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ أَنْ يَضَعَ قَوَانِينَ وتَشْرِيعَاتٍ للإِنْسَانِ إلاَّ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ ، قَالَ تعالَى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] ، فَمَنْ جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ غيرِهِ مُشَرِّعاً لِقَوَانِينَ وأَنْظِمَةٍ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ ، وَدَعَا إلَى عِبَادَةِ غيرِ اللهِ ، قَالَ تَعَالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٣] . وقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[٤]. والْمُؤمِنُ يَسْتَسْلِمُ لِحُكْمِ اللهِ ، ويَخْضَعُ لِشَرِيعَتِه بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[٥] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٤) .

(٣) سورة الشورى : الآية (٢١) .

(٤) سورة يوسف : الآية (٤٠) .

(٥) « شجر » : أشكل والتبس عليهم من الأمور . « حرجاً » ضيقاً أو شكاً . سورة النساء : الآية (٦٥) .

٦ ـ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُـونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١]. وقَالَ تعالَى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّـٰبِرِينَ ﴾[٢] .

٧ ـ النَّذْرُ لِلهِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[٣]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَه فَلَا يَعْصِهِ »[٤] .

٨ ـ الطَّوَافُ ببيتِ اللهِ الْحَرَامِ :

قَالَ تعالَى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن

---

(١) سورة الصف : الآيتان (١٠ ، ١١) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٤٢) .

(٣) « مستطيراً » : منتشراً غاية الانتشار . سورة الدهر : الآية (٧) .

(٤) رواه أحمد والبخارى والترمذى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها.

طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[١].

وَقَال تَعالَى :﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[٢]

٩ ـ الذَّبْحُ لِلَّهِ :

قال اللهُ تعالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٣] ، والذَّبْحُ مِنَ النُّسُكِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[٤]

وَرَوَى الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ »[٥] .

أولاً ـ صِدْقُ العزيمةِ بالعبادةِ

وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فَإِنَّهُ يَحتَاجُ إِلَى عَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ يَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى الْكَسَلِ والتَّوَانِي . وَيَتَمَكَّنُ بِهَا

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥) .

(٢) سورة الحج : الآية (٢٩) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٦١) .

(٤) سورة الكوثر : الآية (٢) :

(٥) رواه مسلم وأحمد والنسائي .

مِنْ بَذْلِ الْجُهْدِ فِى طَاعَةِ اللهِ ، حَتَّى يُصَدِّقَ قولُهُ عَمَلَهُ ، قَالَ تعالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] وَمَنْ أَرادَ عَوْناً لِتَقْوِيَةِ عَزِيمَتِهِ فعليهِ بِجُلَسَاءِ الْخَيرِ ، قَالَ تعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴾[2].

---

(١) سورة الصف : الآية (٢) .

(٢) « سبيلا » : طريقاً إلى الهدى والنجاة . « الذكر » : القرآن الكريم . سورة الفرقان : الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) .

ثانياً - الإيمانُ بالملائكةِ

الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ ، لِقَولِه تعالَى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ ﴾[1] ، وقالَ تعالَى : ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . وقَالَ تَعالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[3] . والأَدِلَةُ كَثِيرَةٌ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ على وُجُوبِ الإِيمَانِ بِهِمْ[4] وَأَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ مِن نُور .

والإِيمَانُ بالْمَلائِكَةِ : هُو الإِقْرارُ الجَازِمُ بِوُجُودِهِم وأَنَّهم خَلْقٌ وَعِبَادٌلله مُسَخَّرُونَ ومُكَرَّمُونَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٥) .

(٢) سورة الشورى : الآية (٥) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (٢٠٦) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٩٨) .

(٥) سورة الأنبياء : الآية (٢٧) .

وقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿لا يَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ﴾[١] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٢] وقَدْ جعَلَهُمُ اللهُ أَقْسَاماً، مِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بأَدَاءِ الْوَحْي إلى الرُّسُل، وهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ عَليه السَّلامُ، وَمِنهُم الْمُوكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْواحِ، وَهُو مَلَكُ الْمَوتِ وأَعْوَانُه، وَمنهُم الْمُوكَّلُ بالصُّورِ، وهُو إسْرافِيلُ، وَمِنهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالْمَطَرِ، وهُو مِيكَائِيلُ، وَمِنْهُم المُوكَّلُ بِأَعْمَالِ العِبَادِ، وهُمُ الكِرَامُ الكَاتِبُونَ، ومِنهُمُ الموَكَّلُ بِحِفْظِ العَبْدِ مِن بَينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وهُمُ الْمُعَقِّبَاتُ. قَالَ تعالَى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ ﴾[٣]. ومِنهُمُ الْمُوَكَّلُ بِالْجَنَّةِ ونَعِيمِهَا وهُمْ رِضْوَانُ وَمَنْ مَعَهُ. وَمنهُم الْموكَّلُ بالنَّارِ وعَذَابِها وهُمْ مَالِكٌ ومَنْ معه مِنَ الزَّبَانِيَةِ ورُؤسَائِهِم تَسْعَةَ عَشَر، وَمنهُمُ المُوَكَّلُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وهُمْ مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ، ومِنهُم حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ومِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ

---

(١) سورة التحريم: الآية (٦).

(٢) « لا يفترون »: لايكلون ولا يعيون. سورة الأنبياء: الآيتان (٢٠، ٢١).

(٣) سورة الرعد: الآية (١١).

بِالنُّطَفِ فِى الْأَرْحَامِ مِنْ تَخْلِيقِهَا إِلَى كِتَابَةِ الْخَيرِ والشَّرِّ ، وَمِنهُم مَلَائِكَةٌ يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُه كُلَّ يومٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ ، ومِنهُم مَلَائِكَةٌ سيَّاحُونَ يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكر ، وَمِنهُم صُفُوفٌ قِيَامٌ لا يَفْتُرُونَ ومِنهُمْ رُكَّعٌ وسُجَّدٌ لَا يَرْفَعُونَ ، ومِنهم غيرُ مَا ذُكِرَ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾[1] ونُصُوصُ هَذِه الْأَقْسَامِ مِنَ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَعرُوفَةٌ عِند الْعُلَمَاءِ .

---

(١) « ذكرى » : موعظة وعبرة . سورة المدثر : الآية (٣١) .

ثالثًا - الإيمَانُ بالكُتُبِ

الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ معْنَاه التَّصديقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ جَمِيعَها مُنزَّلٌ مِن عِنْدِ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ تَكلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً ، قَالَ تَعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ﴾[١] ، فَمِنها مَا كانَ كَلاماً إِلى الرَّسُولِ بِدُونِ وَاسِطَةِ (الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ) ، ومِنهَا مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ إِلى البَشَرِيِّ ، ومِنهَا مَا كَتَبَهُ اللهُ تَعالَى ،قَالَ تَعالَى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾[٢] وقَالَ لِمُوسَى ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[٣] وَقَالَ تَعالَى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾[٤] ، وَقَالَ تَعالَى فِى شَأْنِ التَّوْرَاةِ :

---

(١) سورة النساء : الآية (١٣٦) .

(٢) سورة الشورى : الآية (٥١) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (١٤٤) .

(٤) سورة النساء : الآية (١٤٤) .

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[١] وقالَ فِى عِيسَى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[٢] وقال تعالَى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[٣] . وقالَ تعالَى فى شأْن القُرْآنِ : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِۦ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٤] ، وقالَ تعالَى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[٥] ، وقالَ تَعالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[٦] وقالَ تعالَى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٧] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١٤٥) .
(٢) سورة الحديد : الآية (٢٧) .
(٣) سورة النساء : الآية (١٦٣) .
(٤) سورة النساء : الآية (١٦٦) .
(٥) « مكث » : تؤدة وتأن . سورة الإسراء (١٠٦)
(٦) « الروح الأمين » : هو جبريل عليه السلام . سورة الشعراء : الآيات (١٩٢ — ١٩٥) .
(٧) سورة فصلت : الآية (٤٢) .

وَالْكُتُبُ الَّتِي سَمَّاهَا اللهُ فِي القُرآنِ هِيَ :

القُرْآنُ ، والتَّوْرَاةُ ، والإِنْجِيلُ ، والزَّبُورُ ، وصُحُفُ إِبرَاهِيمَ ومُوسَى . قالَ تعَالَى : ﴿ ٱللهُ لآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنجِيلَ ﴾[1] . وقَالَ تعَالَى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾[2] . وقَالَ تَعالَى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ ﴾[3] وَذَكَرَ البَاقِيَ مِنهَا جُمْلَةً فَقَالَ تَعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان (٢ ، ٣) .

(٣) سورة النساء : الآية (١٠٦) .

(٣) سورة النجم : الآيتان (٣٦ ، ٣٧) .

(٤) « القسط » : العدل . سورة الحديد : الآية (٢٥) .

القُرْآنُ العَظِيمُ

مَنزِلَتُه مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ :

يَقولُ اللهُ تعالَى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ... ﴾[1] وقالَ سُبحَانَهُ : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] وَمُهَيْمِناً : أَى مُؤتَمناً وشَاهِدًا علَى مَا قَبلَهُ مِنَ الكُتُبِ ، ومُصَدِّقاً ؛ يعْنِى يُصَدِّقُ مَا فيهَا مِنَ الصَّحِيحِ ، ويَنفِى مَا وقَع فِيهَا مِنْ تَحرِيفٍ ، وتَبدِيلٍ ، وتَغْيِيرٍ ، ويَحْكُمُ علَيهَا بِالنَّسْخ ، أَو التَّقرِيرِ ، ولِهَـذَا يَخْضَعُ لَهُ كُلُّ مُتَمَسِّكٍ بِالْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمةِ مِمَّنْ لَمْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبهِ ، كمَا قال تبَارَكَ وتعالَى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾[3]

---

(١) سورة المائدة : الآية (٤٨) .

(٢) سورة يونس : الآية (٣٧) .

(٣) سورة القصص : الآيتان (٥٢ ، ٥٣) .

على جميع الأمة التزامه :

يجب على جميع الأمة اتباعه ظاهراً وباطناً ، والتمسك به ، والقيام بحقه ، قال تعالى ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ... ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾[3] والآيات في ذلك كثيرة ، وأوصى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بكتاب الله فقال : (فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به) ، وفي حديث الإمام علي كرم الله وجهه مرفوعاً (إنها ستكون فتن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله) وذكر الحديث[4] .

التمسك به والقيام بحقه :

حث الإسلام أتباعه على حفظه ، وتلاوته ، والقيام به آناء الليل والنهار ، وتدبر آياته ، وإحلال حلاله ،

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١٥٥) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٣) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (١٧٠) .

(٤) رواه الترمذي وضعفه .

وتَحْرِيمِ حَرَامِهِ ، والانقيَادِ لِأَوَامِرِهِ ،والانْزِجارِ بزَواجِرِه ، والاعتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ ، والاتِّعَاظِ بِقَصَصِهِ ، والْعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ والتَّسليمِ بِمُتَشَابِهِهِ ، والوُقوفِ عِندَ حُدُودِهِ ، والذَّبِّ عَنْهُ مِنْ تَحْرِيفِ الغَالِينَ ، وانْتِحَالِ المُبطِلِينَ ، والنَّصيحَةِ له بِكُلِّ مَعَانِيهَا ، والدَّعوةِ إلى ذَلِكَ عَلَى بَصِيرَة .

وَعْدَ اللهِ بحِفْظِهِ :

ولَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِ القُرآنِ ، مِنْ أَن تَمتَدَّ إليهِ يَدُ التَّحرِيفِ والتَّغْيِيرِ ، والتَّبْدِيلِ والزِّيَادَةِ أَو النُّقْصَانِ ، قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] والغَايَةُ مِن ذَلِكَ أَنْ تَبْقَى حُجَّةُ اللهِ عَلى النَّاسِ قَائِمَةً ، حتَّى يَرِث اللهُ الأَرضَ وَمَنْ عليها . ولَا يَكُونُ حُجَّةً كَذلِك إِلَّا بِاستِمْرَارِ وُجُودِه فى النَّاسِ مَحْفُوظاً إِلَى يَومِ الْقِيامَةِ ، لِيَرجِعُوا إليهِ فِى عَقَائِدِ الدِّينِ ، وأُسُسِهِ ، ومَبَادِئِه ، وغَايَاتِه ، والتَّعرُّفِ عَلَى أَحكَامِ شَرِيعَةِ اللهِ ، واستِبَانَةِ الْوَاجِبَاتِ الَّتى يَأْمُرهُمْ بِهَا ، والمُحرَّمَاتِ الَّتى يَنْهَاهُمْ عَنْهَا ، والفَضَائِلِ والْكمَالَاتِ الَّتِى يَحثُّهم ويَنْدُبُهم إليهَا ،

---

(١) « الذكر » : القرآن . سورة الحجر : الآية (٩) .

وَفى الاسْتِنْبَاطِ مِن نُصُوصِهِ المُخْتَلِفَةِ لِلأَحْكَامِ الشَّرعيةِ لِكُلِّ مَا يَجِدُّ فِى حَيَاةِ النَّاسِ ، ويُطَالِعُوا مَواعِظَه ، ونَصَائحه وأَمْثَالَهُ ، وآدَابَهُ ، وما تَضَمَّنَهُ مِنْ بشَائِرَ ، ونُذُرٍ ، وَوَعْدٍ ، وَوعِيدٍ ، وسَائِرِ الوْسَائِلِ والأَسَالِيبِ التَّربَويَّةِ المُختَلِفَةِ ، الهَادِيَةِ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ .

الشَّاهِد عَلى حِفْظِه :

يَجبُ عَلى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُؤمِنَ وَيَطْمَئِنَّ أَنَّ القُرآنَ الذِى يَقرأَهُ اليَوم هو نَفسُ الْقُرآنِ الَّذى نَزَلَ عَلى مُحَمَّد - صلى الله عليه وآله وسلم - ولِذَلِكَ لَو أَنَّ أَحَدًا أَخَذَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، وذَهَبَ إِلَى لَندَن ، وبَارِيس ، ومُوسكُو ، وَوَاشُنْطن ، وبِكِين ، وتَلَّ أَبِيب ، وطَافَ مدُنَ أَفريقِيا ، واسْتُرالِيا ، وذهَبَ إِلَى مَكَّةَ ، والْمَدِينَةَ ، وأَخَذَ مُصْحَفاً مِن كُلِّ هذِهِ الْأَمَاكِنِ والْمُدُنِ ، وفَتَح السُّورَةَ الْمَأْخُوذَ مِنها تِلكَ الآيَةَ ، لَوَجَدَ أَنَّ القُرآنَ وَاحدٌ ، والآيَةَ الَّتِى أَخَذَها مِنه وَاحِدَةٌ ، بَلْ إِنَّه يَجِدُ أَنَّ كُلَّ مَا بَينَ دَفَّتَى الْمَصَاحِفِ كَلَاماً وَاحِدًا لَمْ يَتغيَّرْ ولم يتَبدَّلْ ، وصَدَقَ اللهُ القَائِلُ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجر : الآية (٩) .

السُّنَّةُ المُبَيِّنَةُ لِلْقُرآنِ وَحِفْظِهَا

قَالَ تَعالَى﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] لَقَدْ بيَّنَ الرَّسُولُ - صلى الله عليه وآله وسلم - كِتَابَ رَبِّهِ لِلنَّاسِ ، بِأَقْوالِهِ ، وأَفعَالِه وتَقْرِيرَاتِه ، ولقَد حَفِظَ اللهُ هذَا البَيَانَ النَّبوىَّ فِيمَا دَوَّنتْهُ الأُمَّةُ فِى كُتُبِ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ ، وقَد حَفِظَ اللهُ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - بِجَعْلِ الكَثِيرِ مِنْ خَلْقِه حَافِظِينَ لَهَا عَن ظَهْرِ قَلْبٍ ، عَاقِدِينَ لَهَا حَلقَاتِ التَّدرِيسِ مُعلِّمِينَ إِيَّاهَا كُلَّ مَنْ يَجْهَلُهَا ،حتَّىوُجِدَ فىالأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ يَحفَظُ عَن ظَهْرِ قَلْبٍ الأُلُوفَ مِن أَحَادِيثِ الرَّسُولِ - صلى الله عليه وآله وسلم - بِأَسَانِيدِهَا ، ودَرَجاتِها ، مِثْلَ : البُخَارِىِّ ، وَمُسْلِمٍ ، ومُؤَلِّفِى الأُمَّهَاتِ السِّتِّ ، وغيرِهَا ، وذَلِكَ لأَنَّ أَحَادِيثَ الرَّسُول - صَلى الله عليه وآله وسلم - مُبَيِّنَةٌ لِلْكِتَابِ المُبينِ ، وجُزْءٌ مِنَ الدِّينِ ، الَّذى يُنَظِّمُ كَامِلَ السُّلُوكِ الْيومىِّ لِلمُسْلِمِ فى صَلَاتِه ، وصِيَامهِ وزَكَاتِهِ وحَجِّه وبَيعِهِ وَشِرَائِه وزَوَاجِهِ وطَلَاقِه ،وعَلَاقَاتِه بِأُسْرَتِهِ

---

(١) سورة النحل : الآية (٤٤) .

وجِيرَانِهِ ... ، ومَا الَّذى يَجبُ على الْمُسْلِم نَحْوَ رَبِّهِ وأُمَّتِهِ ... وكُلُّ ذَلِك مُدَوَّنٌ مَضْبُوطٌ مَحْفُوظٌ .

اخْتِيَارِ اللهِ خَيْرَ أُمَّةٍ لحِفْظِ كِتَاب اللهِ وسُنةِ رَسُولِه :

لمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - هُو خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، فَقَدْ تكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِ الدِّينِ الَّذى بُعِثَ بِهِ إلَى يَومِ القِيَامَةِ من التَّبْديل أَو التَّحرِيفِ ، فَهَيَّأَ اللهُ لِذَلِكَ صَحَابةَ رَسُولِ اللهِ الَّذين قَالَ اللهُ تعالى فِيهِمْ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾[١] ، وقَالَ فِيهِمْ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٢] وَوصفَهُم رسُولُ اللهِ بأَنَّهُم خيرُ القُرُون .

وإِذَا كَانَ السَّببُ الرَّئِيسىُّ فى التَّحرِيفِ والتَّبدِيلِ هُو الْهَوى فَإِنَّ اللهَ قَد هَيَّأَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - تَهْيِئَةً خَاصَّةً لِيسْتَقِيمُوا علَى الدِّينِ وَيحفَظُوهُ لِلْعَالَمِينَ ، قَالَ تعَالَى : « وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ فِيكُمْ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١١٠) .
(٢) « وسطاً » : خياراً عدولا . : سورة البقرة : الآية (١٤٣) .

رَسُولَ ٱللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[1] .

وَبِهذَا الإعدَادِ استَحقُّوا أَنْ يَصِفَهُم اللهُ سُبحَانَهُ بِهذِه الأَوصَافِ :

الصَّادِقُون المُفْلِحُونَ :

قالَ تَعالَى : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَٰناً وَيَنْصُرُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]

المُؤمِنُونَ حَقًّا :

قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللهِ

---

(١) سورة الحجرات : الآية (٧) .

(٢) « تبوءوا » : توطنوا المدينة من المؤمنين . « حاجة » أى حزازة وحسداً . « خصاصة » : فقر واحتياج . « يوق » : يجنب . « شح نفسه » : بخل نفسه مع الحرص . سورة الحشر : الآيتان (٨ ، ٩) .

وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) .

أَنْصَارُ رَسُولِ اللهِ ومُؤَيِّدُوهُ :

قَالَ تعَالَى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ الرُّكَّعُ السُّجَّدُ :

قَالَ تَعالَى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٣)

رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ :

قَال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنفال : الآية (٧٤) .
(٢) سورة الأنفال : الآية (٦٢) .
(٣) سورة الفتح : الآية (٢٩) .
(٤) « السكينة » الاطمئنان . سورة الفتح : الآية (١٨) .

أَوْصَافُ الصَّحَابَةِ الَّتِي رَشَّحَتْهُم لِلإِمَامَةِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ :

ذَكَرَتِ الآيَاتُ السَّابِقَةُ أَنَّ الصَّحَابَةَ - رِضْوانُ الله عليهم - يتَّصفُونَ بتلْكَ الأَوصَافِ :

* خَيرُ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .

* الأُمَّةُ الْوَسَطُ الشَّاهِدَةُ عَلَى النَّاسِ .

* هُمُ الرَّاشِدُونَ الَّذينَ حَبَّبَ اللهُ إِلَيهِمُ الإِيمَانَ وزَيَّنَه فِى قُلُوبِهِم ، وكَرَّهَ إِلَيهِمُ الْكُفْرَ والفُسُوقَ والْعِصْيَانَ .

* هُمُ الصَّادِقُونَ والْمُفْلِحُونَ والْمُؤمِنُونَ حَقًّا .

* أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّار رُحَمَاءُ بينَهُم .

* الرُّكَّعُ السُّجَّدُ الَّذِينَ اطَّلَعَ اللهُ عَلَى مَا فِى قُلوبِهِمْ فَرَضِىَ عَنهُمْ .

فَاسْتَحقُّوا بِذَلِكَ أَنْ يَسْتخلِفَهُم اللهُ علَى الأَرض ، وأَنْ يُوفِيَهُم مَا وَعَدَهُم ، وقَدْ تحَقَّقَ ذَلِكَ فِى زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ - رضى اللهُ عَنهُم [١] - كَمَا قَالَ سُبحَانَه :

---

(١) الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، رضى الله عنهم فهؤلاء هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فعائشة أم المؤمنين هى بنت أبى بكر . وحفصة أم المؤمنين هى بنت عمر ، ورقية =

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(١)

وكَمَا اسْتَحقُّوا الإِمَامَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ ، والتَّمْكِينَ عَلَى أَيْدِيهِم لِلدِّينِ الَّذِى يَرتَضِيْهِ اللهُ ، اسْتَحَقُّوا أَنْ يَجْعَلَهمُ اللهُ أَئِمَةً لِلدِّينِ يَرْضَى اللهُ عَنهُم وَعَنْ مَنْ يَتْبَعُهمْ بِإِحْسَانٍ قَالَ تَعالَى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

=بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله زوجها بعثمان وبعدموتها زوجه بابنته الثانية أم كلثوم . ولذا كان يقال لعثمان : ذو النورين ، وزوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على بن أبى طالب بابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة ، كما زوج على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء عمر بن الخطاب .

وكان هؤلاء الخلفاء الراشدون هم وزراء رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله ، وكان كثيراً ما يستشيرهم فى مهمات الأمور ، كما أنهم من السابقين الأولين إلى الإسلام بمكة وأولهم إسلاماً على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم أبو بكر ثم عثمان ثم عمر رضى الله عنهم أجمعين ، وقد وردت فيهم أحاديث تدل على فضلهم على سائر الصحابة الأبرار .

(١) سورة النور : الآية (٥٥) .

وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] .

هَذِه هىَ الْأُمَّةُ الَّتى حَفِظَ اللهُ بِهَا الدِّينَ ، وَرَضِىَ عنها وَأَرْضىَ عَنْهَا الْأُمَمَ والشُّعُوبَ ، فَدَانَتْ لَهَا وأَحَبَّتْهَا رَغْمَ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِها وأَلْوَانِهَا ولُغَاتِها .

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٠٠) .

رابعًا - الإيمان بالرسل عليهم السلام

الإِيمَانُ بِالرُّسلِ رُكْنٌ مِنْ أَركَانِ العَقِيدَةِ ، وَعَلَيهِ فَيَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُؤمِنَ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللهِ دُوْنَ تَفْرِيقٍ بَيْنَهُم ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

وَبيَّنَ اللهُ أَنَّ هَذَا هُوَ إِيْمَانُ المُؤمِنِين فَقَالَ سُبحَانَهُ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] .

وَأَخبَرَ أَنَّ البِرَّ فِي هَذَا الإِيمَانِ ، فَقَالَ سُبحَانَه : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّـنَ ... ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٣٦) .
(٢) سورة البقرة : الآية (٢٨٥) .
(٣) سورة البقرة : الآية (١٧٧) .

وَإِذَا آمَنَ الإِنْسَانُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالبَعْضِ الآخَرِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُم فِي الإِيْمَانِ بِهِمْ فَهْوَ كَافِرٌ ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

الحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُل :

١ ـ أَرسَلَ اللهُ الرُّسُلَ لِتَعْرِيفِ النَّاسِ بِرَبِّهِمْ وَخَالِقِهِم ، وَلِدَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه وَالكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2] وقالَ سَبحَانَهُ : ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ

---

(١) سورة النساء : الآيتان (١٥٠ ـ ١٥٢) .

(٢) « الطاغوت » : كل معبود باطل يعبد من دون الله ، وكل داع إلى الضلالة . سورة النحل : الآية (٣٦) .

ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[١] وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٢] .

٢ ـ أَرْسَلَهُم لِإِقَامَة الدِّين ، ولِلحِفَاظِ عَلَيهِ ، وَالنَّهْى عَنْ التَّفَرُّقِ فِيهِ ، وَلِلحُكْمِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ ،قَالَ تَعَالَى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ... ﴾[٣] وقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٤] .

٣ ـ أَرْسَلَهُم لِتَبشِيرِ المُؤمِنَين بِمَا أَعَدَّ لَهُم مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ جَزَاءَ طَاعَتِهِمْ ، وَإِنْذَارِ الكَافِرِيْنَ بِعَوَاقِبِ كُفْرِهِمْ وَإِسْقَاطِ كُلِّ عُذْرٍ لِلنَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

---

(١) سورة الزخرف : الآية (٤٥) .

(٢) سورة الأنبياء : الآية (٢٥) .

(٣) سورة الشورى : الآية (١٣) .

(٤) سورة النساء : الآية (١٠٥) .

وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً ﴾[١].

٤ - أَرْسَلَهُمْ لإِعْطَاءِ الأُسْوَةِ الحَسَنَةِ لِلنَّاسِ فِى السُّلُوكِ القَوِيمِ والأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ ، والاسْتَقامَةِ عَلَى هُدَى الله مِثلُ قولهُ تعالَى : « فى نَبِيِّنَا : ﴿ لَّقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢] .

٥ - أَرْسَلَهُمُ اللهُ لإِنْقَاذِ البَشَرِ مِنَ الاخْتِلَافِ فِى أُصُولِ حَيَاتِهِمْ ، وَهِدَايَتِهِم إلى الحَقِّ الَّذِى يُرِيدُ خَالِقُهُم ، قالَ تَعالَى : ﴿ وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]

٦ - أَرْسَلهُم لِبَيَانِ الأَعمالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُزَكِّيْ النَّفْسَ الإِنْسَانِيَّةَ وَتُطَهِّرُهَا وتَغرِسُ فِيهَا الخَيْرَ ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة النساء : الآية (١٦٥) .
(٢) « أسوة حسنة » : القدوة الصالحة . سورة الأحزاب : الآية (٢١)
(٣) سورة النحل : الآية (٦٤) .

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

صِفَاتُ الرُّسُلِ عليهم السلام

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلَامُ مُتَّصِفاً بِسُمُوِّ الفِطْرَةِ وَصِحَّةِ العَقْلِ والصِّدْقِ فِى القَولِ ، وَالأَمَانَةِ فِى تَبْلِيغَ مَا عُهِدَ إِلَيهِ بِتَبْلِيغِهِ ، وَالعِصْمَةِ مِن كُلِّ مَا يُشَوِّهُ السِّيرَةَ البَشَرِيَّةَ ، وَسَلَامَةِ البَدَنِ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ الأَبصَارُ ، وَتَنفِرُ مِنْهُ الأَذْوَاقُ السَّلِيمَةُ وَقُوَّةِ الرُّوحِ بِحَيْثُ لاَ تَسْتَطِيعُ نَفْسٌ إِنسَانِيَّةٌ أَوْ جِنِّيَّةٌ ، أَنْ تُسَيْطِرَ عَلَيهِ بِسَطْوَةٍ رُوحِيَّةٍ ، لِأَنَّ الجَلَالَ الإِلٰهِيَّ يَمُدُّه بِمَدَدٍ مِنْه.

وَإِنَمَا لَزِمَتْ هَـذِهِ الصِّفَاتُ لِلرُّسِلِ لِأَنَّهُ لَو انْحَطَّتْ فِطْرَتُهُمْ عَنْ فِطْرَةَ خِيرَةِ أَهلِ زَمَانِهِمْ ،أَوَ مَسَّ عُقولَهُم شَيْءٌ مِنَ الضَّعْفِ ، أَوْ تَضَاءَلَتْ أَرْوَاحُهُم لِسُلْطَانِ نُفُوسٍ أُخْرَى أَوْ ضَعُفَتْ نُفُوسُهُم وَإِرَادَتُهم عَنْ تَنْفِيذِ أَوَامِرِ اللهِ وَنَواهِيهِ وِالْتِزَام طَاعَتِهِ ، أَو كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْ تَبْلِيغ جَمِيع مَاعَهِدَ بِهِ اللهُ إِليْهِمْ بِتَبْلِيغِهِ بِسَبَبِ خَوفٍ أَوْ طَمَعٍ

---

(١) سورة الجمعة : الآية (٢) .

أَوْ نِسْيَانٍ أَو غَيْرِ ذَلِكَ ، لَوْ أُصِيبُوا بِنَقْصٍ فِى شَىءٍ مِنْ هَذَا لَمَا كَانُوا أَهْلاً لِهَذَا الاخْتِصَاصِ الإِلَهِىِّ الَّذى يَفُوقُ كُلَّ اختِصَاصٍ وَهو : اخْتِصَاصُهُم بِالوَحْى وَالْكَشْفِ لَهُمْ عَنْ أَسْرَارِ عِلْمِ اللهِ الَّتِى أُوحِيَتْ إِلَيهم ، وَلَمَا كَانُوا أَهْلاً لِهَذَا الاصْطِفَاءِ الرَّبَّانِىِّ ، وَكَذَا لَوْ لَمْ تَسْلَمْ أَبْدَانُهُم عَنِ المُنَفِّرَاتِ لَكَانَ انْزِعَاجُ النُّفُوسِ لِمَنْ رَآهُمْ حُجَّةً لِلمُنْكِرِ لِدَعَواتِهِم .

أَمَّا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ فَالرَّسُولُ بَشَرٌ يَعْتَرِيْهِ مَا يَعتَرِى سَائِرَ أَفْرَادِ هَذَا النَّوع مِنَ المَخْلُوقَاتِ ، فهُوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ، وَينَامُ ، وَيَنْكِحُ ، وَيَمْرَضُ . وَقَد يَنسَى فِيمَا لاَ عَلاَقَةَ لَهُ بِتَبْلِيغِ مَا أَمرهُ اللهُ بِتبلِيغِهِ ، وَقَدْ يُخْطِئُ فِى تَصْرِيفِ بَعْضِ الأُمُورِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِى تَدْخُلُ فِى بَابِ الاجْتِهَادِ المَأْذُونِ بِهِ . وَلَكِنَّه يُنَبَّهُ لِلخطإِ عَنْ طَرِيقِ الوَحىِ حَتَّى لاَيَكُونَ الخطَأُ (بِمُقْتَضَى وُجُوبِ التَأَسِّى بِهِ) هُوَ الصَّوابُ ، وَقَدْ تَمتَدُّ إِلَيْهِ أَيْدى الظَّلَمَةِ ، وَينالُهُ الاضْطِهَادُ والتَّعْذِيبُ وَقَدْ يُقْتَلُ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤمَرْ بالجهَاد .

الرُّسُلُ السَّابِقُونَ :

مِنْهُم مَنْ قَصَّهُ اللهُ عَلَينا ، فَذَكَرَهُم بِأَسْمَائِهِم ، وَمِنْهُم مَنْ لَمْ يَقْصُصْهُ عَلَيْنَا ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعالى : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾[1] ، فَنُؤمِنُ بِجَمِيعِهِمْ تَفْصِيْلاً فِيمَا فَصَّلَ ٱللهُ ، وَإِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ .

فَأَمَّا الَّذِينَ قَصَّهُم اللهُ عَلَينَا فَهُم المذكورُونَ فى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ قَصَّهُمُ اللهُ عَلَينا فَهُمُ المَذْكُورُونَ فِى قَولِهِ فَأَمَّا الَّذِينَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَـٰهَا إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2] ،وفى قوله : « إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ

---

(١) سورة النساء : الآية (١٦٤) .

(٢) سورة الأنعام : الآية (٨٦) .

إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[١] ، وفى قوله ﴿ وَإِلَىٰ عَاد أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[٢] ، وفى قوله : ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٣] وقال :﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ﴾[٤] ، وقال : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٥]

هَؤُلاَءِ الرُّسُلُ أَرْسَلْهُمُ اللهُ إِلَى الأُمَمِ فِى جَمِيعِ الْعُصُور الْمتُطَاوِلَةِ فَلَمْ تَخْلُ أُمَّةٌ مِنْ رَسُولٍ يَدْعُوها إِلَى اللهِ وَيُرْشِدُهَا إِلَى الْحَقِ ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى :﴿ تَـاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٦] ، وَيقُولُ :﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٧] وَقَال : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٨] . .

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٣٣) .

(٢) سورة هود : الآية (٥٠) .

(٣) سورة الأنبياء : الآية (٨٥) .

(٤) سورة هود : الآية (٦١) .

(٥) سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

(٦) سورة النحل : الآية (٦٣) .

(٧) سورة فاطر : الآية (٢٤) .

(٨) سورة الرعد : الآية (٧) .

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

كَانَ الرُّسُلُ يُبْعَثُونَ إِلَى أُمَمِهِم خَاصَّةً ، كَمَا قَالَ تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] ، وبُعِثَ مُحَمَّدٌ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2] وقَالَ سُبْحَانَه : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3] .

وَكَانَتْ بَيِّنَاتُ الرُّسُلِ وَمُعْجِزَاتُهِمْ تَتَجَلَّى لِمَنْ يُشَاهِدُهَا أَوْ يَسْمَعُ عَنْهَا سَمَاعاً مُتَواتِراً مِمَّنْ شَاهَدَهَا ، وَجَعَلَ اللهُ بَيِّنَةَ مُحَمَدٍ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وَمُعْجزَتَه المُصَدِّقَةَ لِرِسَالَتِهِ ثَابِتَةً وَمُتَجَدِّدَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لِتَقُومَ بِهَا الحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ .

وَمُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآله وَسَلَّمَ ـ هُوَ خَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، لِذَلِكَ حَفِظَ اللهُ الدِّينَ الَّذى بُعِثَ بِهِ وحَفِظَ بَيِّنَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ المُصَدِّقَةَ بِرِسَالَتِهِ ـ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ ـ[4]

---

(١) سورة الرعد : الآية (٧) .

(٢) سورة الأنبياء : : الآية (١٠٧) .

(٣) سورة الفرقان : الآية (١) .

(٤) لاستكمال البحث يعاد إلى ماسبق صفحة . . . ؟

خامساً - الإيمانُ باليومِ الآخرِ

الإيمانُ باليومِ الآخرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ العَقِيدَةِ ، يَجِبُ التَّصديقُ بِهِ لَا مَحَالَةَ ، ويَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : الإيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، وَأَمَارَاتِهَا الَّتِي تَكُونُ قبلَهَا لَا مَحَالَةَ وبِالمَوتِ وَمَا بَعدَهُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ ،وَخُرُوجِ الخَلَائِقِ مِنَ القُبُورِ ، وَمَا فِي مَوقِفِ القِيَامَةِ مِنَ الأَهْــوَالِ ، وَالأَفْزَاعِ ، وَتَفَاصِيلِ الحَشْرِ ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ ، وَوَضْعِ المَوَازِينِ ، وبَالصِّرَاطِ ، وَالْحَوْضِ ، وَالشَّفَاعَةِ لِمَنْ أَذِنَ اللهُ ، وَبالجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ، وَبالنَّارِ وَعَذَابِهَا ، وَغَيرِهَا مِنَ الأُمُورِ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي القُرآنِ أَو فِي الصَّحِيحِ مِنَ السُّنَّةِ .

الأدِلَّةُ عَلَى الإيمَانِ باليَوْمِ الآخِرِ

الأَدِلَّةُ النَقْلِيَّةُ :

١ - إِخْبَارُهُ تَعَالَى عَنْ الْيومِ الآخِرِ بِقَولِهِ : ﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُــدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى قوله وَبِالأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1] وبِقَولِهِ :﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ

(١) « لاريب فيه » : أى لاشك فيه . « المتقين » الذين يأتون بالواجبات ويجتنبون المحرمات والشبهات . يتخذون ذلك وقاية من غضب الله وعذابه . سورة البقرة : الآية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاً بَعِيدًا ﴾[١] وَقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ * أُوْلَـٰئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٢] . . وَقَولِهِ سَبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّمَـا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[٣] وَقَولِهِ : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[٤] ، وَقَولِهِ تَعَالَى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُـلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٦] وقوله : « لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ

---

(١) سورة النساء : الآية (٣٣٦) .
(٢) سورة يونس : الآيتان (٧ ، ٨) .
(٣) سورة الذاريات : الآية (٥) .
(٤) سورة الحج : الآية (٧) .
(٥) سورة التغابن : الآية (٧) .
(٦) سورة المطففين : الآية (٥) .

أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾[١]

وقَوْلِهِ : ﴿وأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] . وغيرِها مِن الآياتِ

٢ - إِخْبَارُهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ : ﴿ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)[٣] ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ .

٣ - اتِّفَاقُ جَمِيعِ الأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَإِيْمَانُ المَلَايِينِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، والمُرسَلِينَ ، والحُكَمَاءِ ، وَالعُلَمَاءِ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، بِاليَوم الآخِرِ وَبِكُلِّ مَا وَرَدَ فِيهِ ، وَتَصْدِيقِهِمْ الجَازِمْ بِذَلِكَ .

---

(١) سورة القيامة : الآيات (١ — ٤) .

(٢) سورة النحل : الآيات (٣٨ — ٤٠) .

(٣) رواه البخارى و مسلم .

١ - صَلاحُ قُدْرَةُ اللهِ الخَالِق عَلَى إعَادَةِ الخَلائِقِ بَعْدَ فَنائِهِمْ ، لأَنَّ إعَادَتِهِم لَيْسَتْ بِأَصْعَبَ مِنْ خَلْقِهِمْ ، وَإيْجَادِهِمْ عَلَى غير مِثَال سَابِقٍ .

٢ - تَأَكُّدُنَا مِنْ صِدْقِ الرَّسُولِ صَاحِبِ الآيَاتِ والمُعْجِزَاتِ الَّتى تَشْهَدُ لِلْعُقُول بِصِدْقِ رسَالَتِهِ ، وَعِلْمُنَا أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِرَسُولِ اللهِ ، فَرَآى الجَنَّة وَالنَّارَ ، وحَمَلَ إلينَا كَلامَ اللهِ ، الَّذِى خلَقَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ، والْحيَاةَ الأُخْرى ، وأَخْبَرَنَا عَنِ الحَيَاةِ الَّتى تَنتَظِرُنَا بَعْدَ موتِنا .

فَعِلْمُنَا بِالدَّارِ الآخِرَةِ جَاءَنَا مِنْ أَوْثَقِ المَصَادر ، مَنِ الَّذى خَلَقَ الدُّنيَا والآخِرَةِ ، ومن رسولِهِ الَّذِى رَأَى الْجَنَّة والنَّار ، ذَلِكَ وَعْدُ اللهِ واللهُ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ .

٣ - ولقَدْ أَخبَرَنَا رَسُولُ اللهِ بِأَمَارَاتٍ سَتَقَعُ فِى الدُّنْيَا ، تَكُونُ عَلامَةً عَلَى قُرْبِ السَّاعَةِ فشَاهَدْنَا الْكَثِير مِنهَا .

ومَا شَاهَدْنَا مِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ يُؤَكِّدُ لنَاصِدْقَ مَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ بهِ عَن السَّاعَةِ والآخِرَةِ ، وكَما رَأَيْنَا هَذه

الْعَلَامَاتِ فِى الدُّنْيَا حَقًّا بَعْدَ أَلْفٍ وَأَرْبَعْمِائَةِ عَام فَسَنَرَى الجَنَّةَ والنَّارَ حَقًّا ، يقول الله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[١] .

٤ - خَالِقُ الْإِنسَانِ أَكْمَلُ مِنَ الإِنسَانِ ، وَالإِنسَانُ يُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ حُبَّ الْعَدْلِ فِى الْأَولِينَ والْآخِرِينَ ، وَمَا عَدْلُ النَّاسِ جَمِيعاً إِلَّا قَبَسٌ مِنْ عَدْلِ اللهِ ، فَاللهُ هُوَ الْعَدْلُ الْحَكِيمُ .

وَمِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُثَابَ الْمُحْسِنُ ، وَيُعَاقَبَ الْمُسِىءُ ، ولَكِنَّ هَذِه الدُّنْيَا لَا يَتَحقَّقُ الْعَدْلُ فِيهَا - وقَدْ عَلِمْنَا عَدْلَ اللهِ - لِذَلِكَ تَجزِمُ الْعُقُول بِأَنَّ اللهَ لَا بُدَّ أَنْ يُقِيمَ مُوَازِينَ الْعَدْلِ فِى حَيَاةٍ أُخْرَى ، قالَ تعالَى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٤٤) .

(٢) سورة ن : الآيتان (٣٥ ، ٣٦) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ .

٥ ـ وإذا نظرنا إلى خلق السموات والأرض نجد أن كل شيء قد وضع فى مكانه اللائق به ، فالسماء وما فيها من نجوم وكواكب ، وليل ونهار ، والأرض وما فيها من نبات وحيوان ، وإنسان ، وجماد ، وكل شيء قد وضع فى مكانه اللائق به بالحق .

فالقلب فى مكانه ، والعين فى مكانها ، والورقة فى مكانها على الشجرة ، والزهرة فى مكانها ، وهكذا . ولا نجد مخالفة للحق فى الأرض والسماء إلا فى حال الإنسان ، فنجد الظالم فى غير مكانه ، وقد نجد النبى المرسل مطاردا يؤذيه السفهاء .

فلماذا لا نرى الحق قائماً فى حياة الناس ، كما قام فى خلق الأرض والسماء ؟ ! .

إن العقول تدلنا على أن الذى خلق السموات والأرض بالحق ، لا بد أن يقيم الحق فى أحوال الناس ، وإذا كان هذا لا يكون فى الدنيا نظراً لكونها

---

(١) سوررة : الجاثية الآتية (١١) .

دَارَ ابْتِلَاءٍ وامْتِحانٍ . . فَلَا بُدَّ أَنَّه يَتَحَقَّقُ فِى الدَّارِ الآخِرَةِ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1] .

٦ - وَإِذَا تَأَمَّلَ الإِنسَانُ كَيْفَ حَفِظَهُ اللهُ ولَمْ يضعْهُ وهُو نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، أَو هُو عَلَقَةٌ كمَا تَولَّى اللهُ حِفْظَهُ سُبْحَانَهُ طِوَالَ حَيَاتِهِ ،مَنْ تَأَمَّلَ هَذَا تَأَكَّدَ أَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ الإِنْسَانَ بِالْمَوتِ ، ويَجْعَلُه يَذْهَبُ سُدًى ، فَالحَكِيمُ الَّذِى يحْفَظُ الأَجْزَاءَ الصَّغِيرَةَ لَا يُضِيعُ الْخِلْقَةَ التَّامَّة ، قَالَ تَعالَى :﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنْثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[3] .

---

(١) سورة الجاثية : الآية (٢) .

(٢) سورة القيامة : الآيات (٣٦، ٤٠) .

الحَيَـــاةُ البَرْزَخِيَّـــةُ

يؤمِنُ الْمُسلِمُ بِأَنَّ نَعِيمَ الْقَبْرِ وعذابَهُ ، وَسُؤَالَ الْمَلَكَيْنِ فِيهِ حَقٌّ وصِدْقٌ ، لِلأَدِلَّةِ الآتِيَةِ :

الأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ :

قَالَ تعَالَى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[١] ، وقَالَ تعَالَى :﴿... وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ... ﴾ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ التَّثْبِيتَ فِى الْحَيَاةِ يَكُونُ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِى الْقَبْرِ ، وقَالَ تعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾[٣] .

---

(١) « برزخ » أى حاجز فلا يرجع إلى الدنيا إلى يوم يبعثون . سورة المؤمنون : الآية (١٠٠) .

(٢) « حاق » : أحاط . « غدواً وعشياً » : أى صباحاً ومساءاً فى الدنيا . سورة غافر : الآية (٤٦) .

(٣) سورة إبراهيم : الآية (٢٧) .

وَقَالَ النَّبِىُّ - صلَّى اللّهُ عليهِ وآله وسَلَّمَ - : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ ، وتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُه ، فَإِنَّه يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ ، فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّد - صلى الله عليه وآله وسلم - فَأَمَّا الْمُؤمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُه ، فَيُقَالُ له : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ فِى النَّارِ ، قَدْ أَبدَلَكَ اللهُ بهِ مَقْعَدًا فِى الجَنَّةِ ، فيَرَاهُمَا جَمِيعاً ، فيُفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِهِ ؛ وأَمَّا المُنَافِقُ أَو الْكَافِرُ ، فيُقَالُ لَهُ : مَا كُنتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : لَا أَدْرِى ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فيُقَالُ لَه : لَا دَرَيْتَ ولا تَلَيْت ، ويُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَينِ) وَقَالَ صلى - اللّهُ عليه وآله وسلم :(إِنَّ أَحَدَكُم إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيهِ مَقْعَدُه بِالْغَدَاةِ والْعَشِىِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ ، حَتَّى يَبْعَثَك اللهُ يَومَ القِيَامَةِ) . . وقَالَ - عليه وعلى آله أفضل الصلاة

---

(١) « الهون » : الهوان الشديد والذل البالغ النهاية .سورة الأنعام : الآية (٦٣) .

واتم التسليم - لَمَّا مَرَّ بِقَبْرَيْنِ : (إِنَّهُمَا يُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرٍ ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ، وأَمَّا الْآخَر فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ) ، وكَانَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ فِى دُعَائِهِ : (اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، ومِنْ عَذَابِ النَّارِ ، ومِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا والْمَمَاتِ) ، وغَيرَ ذَلِكَ مِنَ الإِحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْبَالِغَةِ حَدَّ التواتِرِ .

الأَدلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ :

١ - الإِيمَانُ بِاللهِ ،وَمَلَائِكَتِه ،وَكُتُبِهِ ،ورُسُلِهِ ،والْيَومِ الآخِرِ ، يَسْتَلْزِمُ الإِيمَانَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، ونَعِيمِهِ ، وَكُلِّ ما يجْرِى فيهِ ، لِأَنَّ الْكُلَّ مِنَ الْغَيبِ ، فمَنْ آمَنَ بِالْبَعْضِ لَزِمَهُ عَقْلًا الإِيمَانُ بِالْبَعْضِ الآخَرِ .

٢ - لَيْسَ عَذَابُ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمِهِ ومَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ مِمَّا يَنفِيهِ الْعَقْل أَوْ يَجْعَلُهُ مُسْتَحِيلاً بَلِ الْعَقْلُ يُقِرُّهُ وَيَشْهَدُ بِهِ .

إِنَّ النَّائِمَ قَدْ يَرَى الرُّؤْيَا بِمَا يُسُرُّه فَيَتَلَذَّذُ بِهَا ، وَيَنْعَمُ بِتَأْثِيرِهَا فِى نَفْسِهِ ، الأَمْرُ الَّذِى يَحْزَنُ لَهُ أَو يَأْسَفُ إِنْ هُوَ اسْتَيْقَظَ . كَمَا أَنَّه قَد يَرَى الرُّؤْيَا بِمَا يَكْرَهُ فَيَسْتَاءُ لَهَا وَيغْتَمَّ ، الْأَمْرُ الَّذى يَجْعَلُهُ

يَحْمَدُ مَنْ أَيْقَظَهُ ، فَهَذَا النَّعِيمُ ، أَو الْعَذَابُ فِى النَّومِ يَجْرِى عَلَى الرُّوحِ حَقِيقَةً ، وتَتَأَثَّرُ بِهِ ، وَهُو غَيرُ مَحْسُوسٍ ، ولاَ مُشَاهَدٍ لَنَا ، ولاَ أَنْكَرَهُ أَحَدٌ ، فَكَيْفَ يُنْكِرُ إِذَنْ عَذابَ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمِهِ ؟

أَهْـوَالُ يَـوْمِ القِيَـامَةِ

نُشَاهِدُ أَهْوالَ يَومِ القِيَامَةِ مِنْ خِلالِ الآياتِ القُرآنِيَّةِ ومِنْها قَولُه تَعالَى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾[1] وقولِهِ : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ *

---

(١) « كورت » : : طويت ولفت . « انكدرت » : تساقطت وتهاوت . « سيرت » : أذيلت من أماكنها . « العشار » : النوق الحوامل . « عطلت » : أهملت بلا داع من شدة الهول . « حشرت » : جمعت من كل مكان . « سجرت » أوقدت فسارت ناراً تضطرم . « زوجت » قرنت كل نفس بشكلها . أو دخلت الأرواح فى أجسامها . « الموءودة » : البنت تدفن حية . « كشطت » : قلعت كما يقلع السقف . « سعرت » : أو قدت وأضرمت للكفار . « أذلفت » : قربت وأدنيت من المتقين . سورة التكوير : من الآية (١ — ١٣) .

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾[1] ، وقَوْلُهُ تعالَى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[2] ، وقَوْلُهُ تَعَالَى : « فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَـٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[3] إلى آخر الآياتِ . « يُرْجَعُ فِى تَفْسِيرِ مَا سَبَقَ مِنَ الآيَاتِ إِلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ » .

---

(١) « وقعت الواقعة » قامت القيامة بالنفخ فى الصور « خافضة رافعة » : خافضة للأشقياء بدخول النار ورافعة للسعداء بدخول الجنة . « رجت » : زلزلت وحركت تحريكاً شديداً . « بست » : فتتت فتاً . « هباء منبثاً » غباراً منتشراً . سورة الواقعة : من الآية (١ – ٦) .

(٢) « تذهل » تغفل وتشغل لشدة الهول . سوة الحج : الآية (٢) .

(٣) « الصاخة » : الصيحة تصم الأذن لشدتها وذلك عند النفخة الثانية فى الصور . سورة عبس : من الآية (٣٣ – ٣٧) .

الجَنَّةُ وَالنَّارُ

الجَنَّة :

هىَ دَارُ الْمُوحِّدِينَ ، ودَارُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ودَارُ الَّذين اتَّقَوْا ربَّهُمْ ، ودَارُ عِبَادِ اللهِ الْمُخلَصِينَ ، ودَارُ الَّذينَ يخَافُونَ رَبَّهُمْ ، ودَارُ المُوفِينَ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدُوا ، ودَارُ المُجَاهِدينَ فِى سَبِيلِ اللهِ بأَنفُسِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ ، ودَارُ التَّائِبِينَ الْعَابِدينَ الحَامِدِينَ السَّاجِدِين ، الآمِرِينِ بِالْمَعْرُوفِ ،والنَّاهِينَ عَنِ الْمُنكرِ .

وقدْ بيَّنَ اللهُ تفْصِيلًا فِى كِتابِهِ الْعَزِيزِ الجَنَّةَ ونعِيمَها ، وأَنهارَها ، وأَشجَارَها ، وثِمارَهَا ، وطَعَامَهَا ، وشَرَابَهَا ، وثِيَابِهَا ، وحُلَلَهَا ومَسَاكِنَهَا وغُرَفِهَا وَحُورَهَا ، وذَكَر أَنَّ نَعِيمَهَا لا يُشبِهُ نَعِيمَ الدُّنْيَا قالَ جَلَّ شَأْنُه : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]. وقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وآلهُ وسَلَّمَ : قالَ تعَالَى : ﴿ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴾ .

---

(١) سورة السجدة : الآية (١٧) .

وَالنَّـــارُ :

هِىَ دَارُ الْكَافِرِينَ ، والْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وعِبَادَتِهِ ، وَقَدْ وصَفَ اللهُ وَقُودَهَا وَنِيرَانَهَا الْمُتَأَجِّجَةَ ، وَوَصَفَ طَعَامَهَا وشَرَابَهَا ، وَوَصَفَ عَذَابَهَا بِمَا يُدْخِلُ الرُّعْبَ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ وبِمَا يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ أَثِيمٍ ، لِيَرْتَدِعَ عَمَّا هُو فِيهِ .

و أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ ، أَوْشِرَاكَانِ ، مِن نَارٍ يُغْلَى مِنهُمَا دِمَاغُه ، كَما يُغْلَى الْمِرْجَلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحدًا أَشَدُّ مِنه عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ .

ومَنْ أَرَادَ التَّفصِيلَ فِى أَوْصَافِ الجَنَّةِ والنَّارِ فَعلَيْهِ بِمُطَالَعَةِ كِتَابِ اللهِ تعَالَى وسُنَّةِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وآله وسَلَّم - يَجِدُ فِيهَا الكَثِيرَ الكَافِى .

ثَمَرَةُ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

الْإِيمَانُ بِالْيومِ الآخِرِ يَجْعَلُ لِحَيَاتِنَا غَايَةً سَامِيَةً ، وهَدَفاً أَعْلَى ، وهَذِهِ الْغَايَةُ هِىَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ ، وتَرْكُ الْمُنكَرَاتِ ، والتَّحَلِّى بالْفَضَائِلِ ، والتَّخَلِّى عَنِ الرَّذَائِلِ الضَّارَةِ بالْأَبْدَانِ ، والْأَدْيَانِ ، والْأَعْرَاض ، والعُقُولِ ، والْأَمْوالِ.

كَيْفَ يَكُونُ البَعْثُ

الأُصُولُ الَّتى رُكِّبَ مِنْهَا الإِنْسَانُ :

يَتكوَّنُ الإِنسَانُ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءٍ :

١ - الْأَصْلُ الَّذِى تَنَاسَلَ مِن آدَمَ عَليهِ السَّلاَمُ وجَاءَ مَعَ النُّطْفَةِ (الْبَذْرَةِ) .

٢ - التُّرَابُ الَّذِى جَاءَ فِى صُورَةِ طَعَامٍ ، فَنُمِّى بِهِ الأَصْلُ الَّذِى تَنَاسَلَ مِن آدَمَ ، وكُوِّنَ الْجِسْمُ الْآدَمِىُّ .

٣ - الرُّوحُ الَّتِى نُفِخَتْ فِى الْجَنِينِ وهُو فِى بَطْنِ أُمِّهِ .

فَتْرَةُ الامْتِحَانِ وَنهَايَتُهَا :

وبِامْتِزَاجِ هَذِه الْعَنَاصِرِ الثَّلاَثَةِ بِأَمْرِ اللهِ يُوجَدُ الإِنْسَانُ الْحَىُّ الَّذِى يَقْضِى فَتْرَةَ الامْتِحَانِ فِى هَذِه الدُّنيَا ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[1] . . فَإِذَا جَاءَ أَجَلُ انْتِهَاءِ الامتِحَان وَوَقتُ الخُرُوج إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ جَاءَ الْمَوتُ ، قَالَ تَعَالَى :

---

(١) « ليبلوكم » : ليختبركم فيما بين الحياة والموت . سورة تبارك : الآية (٢).

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[١]
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾[٢] .

بِالمَوتِ تَعُودُ الْأُصُولُ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى :

وبِالْمَوت يعُودُ التُّرَابُ الَّذِى تَكَوَّن منْهُ الجَسَدُ ، إلى أَصْلِه ، قَالَ تعَالَى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ ﴾[٣] وَيَبْقَى مِنَ الْجَسَدِ عَجَبُ الذَّنب (الْبَذْرَةُ) وهُوَ الْجُزْءُ الَّذِى رُكِّبَ الإِنسَانُ مِنه أَوَّلَ مَرَّة ، وهُوَ الَّذى كَانَ فِى صُلْبِ آدَمَ ، وَهُوَ شَىْءٌ صَغِيرٌ جِداً ، ولِهذَا اتَّسعَ صُلْبُ آدَمَ عليه السَّلَامُ لِكُلِّ أَصُولِ بَنِيهِ ، وهذَا الْجُزءُ لَا تَـأْكُلُه الْأَرْضُ ولَا يَبْلَى قال عليه وآله الصَّلَاةُ والسلَامُ : ﴿ كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَـأْكُلُه الْأَرْضُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيه يُرَكَّبُ ﴾[٤] .

وأَما الرُّوحُ فتَعُودُ إِلَى حَيثُ شَاءَ اللهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ .

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٣٤) .
(٢) سورة المنافقون الآية (١١) .
(٣) سورة ق الآية : (٤) .
(٤) رواه البخارى ، ومسلم والنسائى ، ومالك فى الموطا ، وأبو داود .

وعِنْدَ الْبَعْثِ تَجْتَمِعُ الْأَجْزَاءُ الثَّلَاثَةُ مَرَّةً ثَانِيَةً :

فَإِذَا جَاءَ مَوْعِدُ الْبَعْثِ يُنزِلُ اللهُ مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ تَنْبُتُ بِهِ الْأُصُولُ (الْبُذُورُ) أَىْ عَجَبُ الذَّنَبِ الَّذِى لَمْ يَبْلَى ، قَالَ عليهِ وآله الصَّلاةُ والسَّلَامُ : (. . . ثُم يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، وَلَيْسَ مِنَ الإنسَانِ شَىءٌ إِلَّا بلِىَ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجَبُ الذَّنَبِ مِنهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1]

وشَبِيهٌ بِهَذَا مَا يَحْدُثُ فِى الدُّنْيَا ، فَأَنْتَ تَرَى الْأَشْجَارَ تَتَحَطَّمُ إِذَا جَاءَ الْجَفَافُ ، فَلَا يَرَى الْإِنْسَانُ لِلْأَشْجَارِ والنَّبَاتَاتِ أَىَّ بَقِيَّةٍ إِلَّا الْبَذْرَةَ الَّتِى تَكُونُ مَدْفُونَةً تَحْتَ التُّرَابِ ، أَو الْأَحْجَارِ وَلَا تَرَاهَا الْعُيُونُ ، فَإِذَا نزَلَ الْمَطَرُ انْفَلَقَتْ تِلْكَ الْبُذُور و أَنْبَتَتِ الْأَشْجَارَ وسَائِرَ النَّبَاتَاتِ ، قَالَ تَعالَى :﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْيِى ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[2]. وَقالَ عَليهِ وآله الصَّلَاةُ والسَّلَامُ لِلَّذِى سَأَلَهُ قَائِلًا : يَارَسُولَ اللهِ

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ وأبو داوود والنسائى

(٢) سورة الروم : الآية (١٩) .

كَيْفَ يُعِيدُ اللهَ الْخَلْقَ ومَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ صلى اللهُ عليهِ وآله وسَلَّمَ : (أَمَا مَرَرْتَ بِوادِى قَوْمِكَ جَدْباً ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِراً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتِلْكَ آيَةُ اللهِ فِى خَلْقِهِ ، كَذَلِكَ يُحْيِى اللهُ الْمَوتَى)[١]

فَإِذَا نَبَتَ عَجَبُ الذَّنَبِ مِنَ التُّرابِ ، وعَادَ الْجَسَدُ جَاءَتْ كُلُّ رُوحٍ إلى جسَدِهَا ، وذَلِكَ قَالَ تعَلَى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾[١] .

وهَكَذَا يَعُودُ الْخَلْقُ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا بَدَأَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[٢] .

الرَّدُّ على المُكَذِّبِين باليَوْمِ الآخِرِ

نَكْتَفِى فِى الرَّدِّ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِالْيَومِ الْآخِرِ بِمَا رَدَّ اللهُ عَلَيهِم بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ

---

(١) رواه أحمد بمعناه .

(٢) سورة التكوير : الآية (٧) .

(٣) سورة الأنبياء : الآية (١٠٤) .

وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[1] ، وَبقَولِهِ تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ

---

(١) « النطفة » : المنى . « العلقة » : : قطعة دم جامدة على شكل العلقة لها رأس وذنب. « مضغة » : قطعة لحم قدر ما يمضغ . « مخلقة » مستبينة الخلق مصورة . « أشدكم » : كمال قوتكم وعقلكم . « أرذل العمر » : الخرف والهرم بحيث لا يعلم ولا يعقل شيئاً . « هامدة » : ميتة يابسة قاحلة . « ربت » : ازدادت وانتفخت . « بهيج » : حسن نضير . « لاريب فيها » : لاشك فيها . « يبعث » : يخرج الموتى من قبورهم بأجسامهم كاملة بلحمها وعظمها وعصبها وعروقها كما بدأهم أول مرة . وهذا هو الفرق بين البعث عند اليهود والنصارى الذين يقولون – تحريفاً وزوراً – بالبعث الروحانى وبين البعث عند المسلمين الذين يعتقدون بالبعث الجسمانى مع الروح .
سورة الحج : الآيات من (٥ إلى ٧) .

وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ * إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] ، وبقولِهِ تعالَى : ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ * بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[2] .

---

(١) « خصيم » مبالغ فى الخصومة بالباطل « « رميم » : بالية أشد البلاء . « ملكوت » : أى الملك كله لايفلت من ذلك مثقال ذرة ولا أصغر . سورة يس : الآيات (٧٧ إلى ٨٤) .

(٢) سورة ق : الآيات (١ إلى ٦) .

سادسا : الايمــان بالقدر

مَعْنَى القَدَر :

شَاءَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلَائِقَ وَقَضَى أَن تَكُونَ بِأَقْدَار وأَوْصَاف مُحَدَّدَة ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَخَلَقَ كلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[١] وهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا سَيَكُونُ فِي مَخْلُوقَاتِه فَأَمَر الْقَلَمَ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوحِ الْمَحْفُوظِ ، مَا هُو كَائِنٌ إِلَى يَوم الْقِيَامَةِ ، قَالَ تعالَى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٢] ، وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ مَايَشَآءُإِنَّمَا هُو كَائِنٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُقَالَ تعالَىَ :﴿ يَخْلُقُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[٣] وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا بِقُدْرَةِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ ، قَالَ تعَالَى : وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ [٤]. فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

---

(١) « فقدره » : فهيأه لما يصلح له ويليق به بإحكام وإتقان بديع . سورة الفرقان : الآية (٢) .

(٢) سورة الحج : الآية (٧٠) .

(٣) سورة الروم : الآية (٥٤) .

(٤) سورة الكهف : الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

الْإِيمَانُ بِالْقَدَر :

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ كَمَا بيَّنَهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ - فِى حَدِيثِ جِبْرِيلَ بِقَوْلِهِ : « وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّهِ » ، ولاَ يَسْتَطِيعُ الْإِنسَانُ أَنْ يُحِيطَ عِلماً بِأَسْرَارِ اللهِ سُبحَانَهُ ، إِلَّا إِذَا كَانَ عِلْمُهُ كَعِلْمِ اللهِ - وهَذَا أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ - أَلاَ تَرَى إِلَى ما يَقُومُ بِهِ الأَطبَّاءُ ، والْخُبَرَاءُ ، والْمُهَندِسُونَ مِنْ أَعْمَالٍ ، لاَ يَعرِفُ غيرُهُم تَمَامَ الْحِكْمَةِ مِنْها إِلَّا مَنْ بَلَغَ فِى عِلْمِهِ دَرَجَةَ عِلْمِهِمْ .

ولَوْ رأَى أَحَدُ الْجُهَّالِ مثلاًطَبِيباً يَفْتَحُ بَطْنَ مَرِيضٍ وَيَقُصُّ الْأَمْعَاءَ ، لَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اعْتِرَاضاً ، لَكِنَّه عِنْدَ مَا يَعْرِفُ أَنَّ الطَّبِيبَ حَكِيمٌ فِى تَصَرُّفَاتِهِ ، خَبِيرٌ فِى عَمَلِهِ فَإِنَّهُ يَتَنَازَلُ عَنْ رَأْيِهِ واعْتِرَاضِهِ ، مُعْتَرِفاً بِجَهْلِهِ أَمَامَ عِلْمِ الطَّبِيبِ .

والْمُؤمِنُ يَعْرِفُ لِرَبِّهِ الْكَمَالَ الْأَعْلَى فَتَرَاهُ مُؤْمِناً بِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يَحْدُثُ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ ، وَإِذَا غَابَت عَنْهُ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِى أَمْر مِنَ الْأُمُورِ عَرَفَ جهْلَهُ أَمَام

عِلْمِ اللهِ وتَرْكَ الاعتِرَاضَ عَلى الْحَكِيمِ ، الْخَبِيرِ ، الْعَلِيم القَائِلِ : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾[1] .

مِنْ ثِمارِ الأَيمان بالقَدَر :

مَنْ آمَنَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ تَراهُ حَرِيصاً عَلَى مَعْرِفَةِ أَقْدَارِ الْخَيْرِ لِيَدْفَعَ بِهَا أَقْدَارَ الشَّرِّ ، فَهُو يَدْفَعُ قَدَرَ الجُوعِ بِقَدَرِ الطَّعَامِ ، وَقَدَرَ الْمَرَضِ بِقَدَرِ الدَّوَاءِ ، وقَدَرَ الْفَقْرِ ، بِقَدَرِ السَّعْيِ فِى طَلَبِ الرِّزْقِ .

وَمَنْ آمَنَ بِقَدَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ تَرَاهُ لَا يَأْسَى عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَلَا يُصِيبُهُ الْيَأْسُ بِسَبَبِ كَثْرَةِ المَصَائِبِ ، وَلَا يَفْتَخِرُ ، أَوْ يَتَكَبَّرُ مَهْمَا أُوتِىَ مِنْ حُظُوظٍ ، مُؤمِنًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية (٢٣) .

(٢) « نبرأها » : نخلقها . « لاتأسوا » : تحزنوا « ولا تفرحوا » : فرح بطر واختيال . « مختال » : متكبر مباه متطاول بما أوتى من فضل الله . سورة الحديد : الآيتان (٢٢ ، ٢٣) .

ومَنْ آمَنَ بِقَدَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَعَرَفَ عَجْزَهُ ،وحَاجَتَهُ إِلَى خَالِقِهِ ، تَرَاهُ صَادِقاً فِى تَوكُّلِهِ عَلَى رَبِّهِ ، يَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ الَّتِى قَدَّرَ اللهُ أَقْدَارَهَا ، وَيَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ الْعَوْنَ عَلَى مَا أَعْجَزَهُ مِنْهَا ، يُرَدِّدُ فِى يَقِينٍ قَوْلَ اللهِ : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾[1] .

---

(٢) سورة التوبة : الآية (٥١) .

شُبُهَات

الشُّبْهَةُ الأُولَى :

يَزْعُمُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ وَأَرْغَمَهُمْ عَلَى عَدَمِ الصَّلَاةِ والصِّيَام وسَائِرِ الطَّاعَاتِ ، وهَدَى غَيْرَهُمْ ، مُتَذَرِّعِينَ بِقولِ اللهِ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]

إِنَّ الَّذِينَ يُرَدِّدُونَ هَذه الشُّبْهَةَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهِدَايَةَ قِسْمَانِ :

١ - هِدَايَةُ إِرْشَاد .

٢ - هِدَايَةُ إِعَانَة .

أَمَّا هِدَايَةُ الْإِرْشَادِ فَهِي كَمَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُوصِلُكَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي تُرِيدُ ، ثُمَّ يَتْرُكُكَ فَهُو قَدْ هَدَاكَ إِلَى الطَّرِيقَ وَأَرْشَدَكَ .

وَرُسُلُ اللهِ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الْهِدَايَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ ، فَهُمْ

---

(١) سورة القصص : الآية (٥٦) .

يُرْشِدُونَ النَّاسَ إلَى الطَّرِيقِ الَّذِى يُوصِلُهُمْ إلَى الْجَنَّةِ ، قَال تَعَالَى : مخاطباً رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]

أَمَّا هِدَايَةُ الْإِعَانَةِ ، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ شَخْصٍ كَرِيمٍ رَحِيمٍ وَدُودٍ ، سَأَلْتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إلَى الْبَيْتِ الَّذى تُرِيدُ ، فَأَرْشَدَكَ إليهِ ، **فَطَلَبْتَ مِنْهُ الْعَوْنَ ، فَحَمَلَكَ عَلَى سَيَّارَتِهِ ،** وَأَخَذَ بِيَدِكَ إلَى هَدَفِكَ ، فَهَذِهِ هِدَايَةُ إِعَانَةٍ. وَهَذِهِ لَاتَكُونُ إِلَّا لِشَخْصٍ قَبِلَ هِدَايَةَ الْإِرْشَادِ وطَلَبَ الْعَوْنَ .

وَإِذَا كَانَ الرُّسُلُ يَقُومُونَ بِهِدَايَةِ الْإِرْشَادِ فَهُمْ لَايَمْلِكُونَ هِدَايَةَ التَّوفِيقِ والْمَعُونَةِ لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ لَا يُعطِيهَا **إِلَّا لِمَنْ** يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّهَا . قالَ تَعَالَى : مُخَاطبًا نَبِيِّنَا مُحَمد صَلَّىٰ اللهُ عليه وَعَلَى آلِهِ وَسَلم ﴿.. إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ، فَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِى يَهْدِى مَنْ قَبِلَ هِدَايَةَ الْإِرْشَادِ بِهِدَايَةِ

---

(١) سورة الشورى : الآية (٥٢) .

التَّوفِيقِ والْإِعَانَةِ ، قالَ تعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[1] .

وَلَا يُضِلُّ سَبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْإِضْلَالَ مِمَّن رَفَضَ هِدَايَةَ الإِرْشَادِ ، وَزَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ ، قَالَ تعَالَى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[2] .

الشُّبْهةُ الثَّانِيَةُ :

يَقُولُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ : إِنَّ مَا كَتَبَهُ اللهُ فِى اللَّوْحِ ، هُو الذِى جَعَلَ تَارِكَ الصلَاةِ تَارِكاً للصَّلَاةِ ، وجَعَلَ الْمُصَلِّى مُصَلِيًّا ، وهَذَا وَهْمٌ لِأَن الْمُصَلِّى يقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ بِاخْتِيَارِهِ ، دُونَ إِجْبَارٍ ، وَتارِكَ الصَّلَاةِ يَتْرُكُهَا دُونَ إِكْرَاهٍ أَوْ إِجْبارٍ ، وَهَذَا مَا يَعْرِفُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ ، لِأَنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الإِنسَانَ

---

(١) سورة محمد : : الآية (١٧) .

(٢) « زاغوا » : مالوا عن الحق باختيارهم . « أزاغ الله قلوبهم » : حرمهم التوفيق لاتباع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . سورة الصف الآية (٥) .

ولَـهُ حُرِّيَّةٌ واخْتِيَارٌ .

أَمَّا إِذَا سَأَلَ السَّائِلُ : كَيْفَ لَا يَكُونُ مَاقَدْ كُتِبَ فِى اللَّوْحِ مُجْبِرًا لِلْإِنسَانِ عَلَى الْعَمَلِ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ كُتِبَ مُنْذُ الْأَزَلِ ؟ فَنَقُولُ : إِنَّ الْأَمْرَ سَهْلٌ ، يُوضِّحُهُ هَذَا الْمِثَالُ :

أَلَا تَرَى أَنَّ الْأُسْتَاذَ الذَكِىَّ الْخَبِيرَ بِأَحْوَالِ طُلَّابِه ، الَّذى يَضَعُ أَسْئِلَةَ الامْتِحَانِ ، لَوْ أَنهُ كَتَبَ فِى وَرَقَةٍ ، أَسْمَاءَ مَنْ هُوَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُمْ سَيَرْسُبُونَ فِى الامْتِحَانِ ، وَبيَّنَ أَسْمَاءَ مَنْ هُوَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ نجَاحِهِم. ثُم جَاءَ الامتِحَانُ وظَهَرَتِ النتِيجَةُ ، ثُم جَاءَ الذِينَ رَسَبُوا مُحتَجِّينَ بِقَولِهِمْ : إِن ما كَتَبَهُ الأُسْتَاذُ عَلَيْنَا فِى الْوَرَقةِ بِأَننَا سَنرسَبُ هُوَ السَّببُ فِى رُسُوبِنَا ! فَهَلْ سَيُقْبَلُ عُذْرُهُم ؟ أَمْ أَنهُ سَيُقَالُ لَهُمْ : إِنَّ مَا كَتَبَهُ الأُسْتَاذُ فِى الْوَرَقَةِ أَمْرٌ مُتعَلِّقٌ بِعِلْمِهِ وَخِبْرَتِهِ السابِقَةِ بِأَحْوالِكُمْ . وَرسُوبُكُمْ مُتَعِلِّقٌ بِإِهْمَالِكُمْ ، فَلَا تَعْتَذِرُوا لِإِهْمَالِكُمْ بِعِلْمِ الأُسْتَاذِ وَخِبْرَتِهِ - (وَللهِ الْمَثلُ الأَعلى) - فَهُو سُبحَانَهُ خَالِقُ الْخَلْق ، وَهُوَ الْعَلِيمُ

بِـأَحْوَالِهِمْ) قَالَ تعَالَى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1] ، ولَقَدْ خَلَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِقَضَاءِ فَترَةِ الامتِحَانِ عَلَى هَذهِ الدُّنْيَا وَهُوَ جَلَّ شَأْنُهُ يَعْلَمُ نَتِيجَةَ الامتِحَانِ ، فَكَتَبَ الشقَاءَ عَلَى الْأَشْقِيَاءِ ، وكَتَبَ السعَادَةَ لِلسُّعَدَاءِ . حَسْبَ عِلمِهِ المُحِيْطِ بِمَا كَانَ وَمَا سَيَكُون .

وَرُبمَا أَخْطَأَ الأُسْتَاذُ فِى تَقْدِيرِه لِنَتَائِجِ طُلَّابِهِ ، لَـٰكِنَّ قَدَرَ اللهِ لَا يُخطِىءُ فِى تَقْدِيرِهِ لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، والْكِتَابَةُ فِى اللَّوحِ أَمْرٌ ، مُتعَلِّقٌ بِعِلْمِ اللهِ السَّابِقِ ، فَتَرْكُ الصَّلَاةِ مَثَلًا أَمْرٌ مُتَعَلِّقٌ بتَمَرُّدِ وَإِهْمَالِ وَمَعْصِيَةِ تَارِكِ الصَّلَاةِ . وَقَدْ أَرَادَ الْجَاهِلُونَ أَنْ يَعْتَذِرُوا لِلْمَعْصِيَةِ والضَّلَالِ بِعِلْمِ اللهِ وَكَمَالِهِ .

إِنَّ عِلْمَ اللهِ سَابِقٌ لَاسَائِقٌ ، وَلَقَدْ أَخْبرَ اللهُ رَسُولَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ ، ورَأَينَا فِيمَا سَبَقَ فِى عَلَامَاتِ السَّاعَةِ ،أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتى ذَكَرَهَا الرَّسُولُ - صلَّى اللهُ عليه وآلَهُ وسلم - وكَتَبَهَا الْمُسْلِمونَ فِى كُتُبِ الْحَديثِ ، تَقَعُ الآن .

فَهَلْ يَزْعُمُ شَخْصٌ : أَنَّ كِتَابَةَ الْمُسلِمينَ لِمَا يَحْدُثُ الآنَ هُوَ الَّذِى أَحْدَثَهَا ؟ إِن الْعِلْمَ سَابِقٌ ، لَا سَائِقٌ .

(١) سورة الملك : الآية (١٤) .

مُقْتَضَيَاتُ الإِيمَانِ

١ ـ التَّصدِيقُ بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ :

فَالْمُؤمِنُ يُصَدِّقُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعَالَى فِى كِتَابِهِ ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيم ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلمَ ـ تَصْدِيقاً جَازِماً لَا يُخَالِطُه شَكٌّ وَلَا رَيبٌ .

والْمُؤمِنُ يُؤمِنُ أَنَّ كُل مَاخَالَفَ أَوْيُخَالِفُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ سُبْحَانَه فَهُو بَاطِلٌ مَهْمَا زَيَّنَهُ أَصْحَابُه أَوْ زَيَّفُوهُ ، وذَلِكَ لِأَنَّهُ يُؤمِنُ بِأَنَّ الدِّينَ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَلِيمِ ، الْحَكِيمِ الَّذِى أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، قَالَ اللهُ تعَالَى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ ٱللهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾[1] .

٢ ـ طَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وآلهُ وسلم

وذَلِكَ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ورَسُولِهِ ، وتَيقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ رتَّبَ الأَجْرَ والثَّوَابَ عَلى طَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِهِ ، والامتِثَالِ لِأَوَامِرِهِ وَأَوَامِرِ رَسُولِهِ

---

(١) « بالدين » : بالبعث والجزاء . سورة التين : الآيتان (٧ ، ٨) .

- صلى اللهُ عليه وآلهُ وسَلمَ - فَإِنَّ إِيمَانَهُ بِذَلِكَ يُلزِمُه الاسْتِسْلَامَ لِأَوَامِرِ اللهِ ورَسُولِهِ فَالمؤْمِنُ يَتحَرَّى فِى كِلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ مُوَافِقاً لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم - ، قالَ اللهُ تعَالَى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقاً﴾[١] وقالَ تَعَالَى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[٢] ، وقال رسُولُ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ - : « كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى » ، قِيلَ : وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ : « مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى »[٣]

٣ - أَدَاءُ الْفَرَائِضِ :

فَالقَلْبُ إِذَا عُمِرَ بِالْإِيمَانِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِى أَنْ تَنْبَعِثَ الْجَوَارِحُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، والاجْتِهَادِ فِى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ .

---

(١) سورة النساء : الآية (٦٩) .

(٢) سورة النساء : الآية (٨٠) .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة .

وَأَمَّا مَنْ لَا يُؤَدِّى الْفَرَائِضَ ، ويَدَّعِى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَاذِبٌ قَدْ خَدَعَهُ الشَّيطَانُ ، وزَيَّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ ، فَلَوْ أَنَّ قَلْبَهُ صَلَحَ بِالْإِيمَانِ لَصَلَحَ جَسَدُهُ كُلُّهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ . ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلهُ وسَلَّمَ ـ : « إِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُه ، أَلَا وَهِىَ الْقَلْبُ »[1] :

٤ ـ الْقِيَامُ بِالْوَاجِبَاتِ والانتِهَاءُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ :

وَلَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْمَرْءِ إِلَّا بِقِيَامِهِ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَليهِ ، وانْتِهَائِهِ عَمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَليهِ ،طِبْقاً لِمَا جَاءَنَا مِنْ رَسُول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلَّمَ ـ قالَ اللهُ تعَالَى : ﴿ وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2] .

٥ ـ التَّوْبَةُ والاسْتِغْفَارُ :

إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اسْتَزَلَّهُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَاكَسَبَ فَأَوقَعَهُ فِى شَىْءٍ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيهِ فَإِنَّه يُسَارِعُ إِلَى التَّوبَةِ

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الحشر : الآية (٧) .

وذَلِكَ بِالنَّدم عَلَى مَا فَرَّطَ فِى جَنْبِ اللهِ ، ولَا يُصِرّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَيَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ ، قَالَ اللهُ تعَالَى فِى وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين :﴿...وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] وقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] .

٦ ـ الأَمرُ بِالمَعْرُوفِ والنَهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ :

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْىُ عَنِ الْمُنكَرِ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الْإِيمَانِ ، ومَنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ،قال اللهُ تعَالَى :﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3] ، والارتِبَاطُ بَيْنَ قُوَّةِ الإِيمَانِ

(١) « فاحشة » : معصية كبيرة متناهية فى القبح كالقتل بغير حق والربا وأكل مال اليتيم وغير ذلك « ولم يصروا » : ولم يستمروا على فعل المعاصى بل أقلعوا عنها وندموا على مافات وعزموا على عدم العودة إلى الذنوب التى تابوا منها : سورة آل عمران : الآية (١٣٥) .

(٢) سورة الزمر : الآية (٥٣) .

(٣) سورة التوبة الآية (٧١) .

فِي قِلْبِ الْمُؤمِنِ ، وَقِيَامِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهىِ عَنِ الْمُنكَرِ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ ، قَالَ رسُولُ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وآله وسَلَّمَ - : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[1] . وفى رِوَايَةٍ : « لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ حَبَّةُ خَرْدلٍ مِنْ إِيمَانٍ) .

والْمُؤمِنُ لَا يُفَرِّطُ فِى الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمعْرُوفِ والنَّهى عَنِ المُنكَرِ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَ هَذه الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ مَصِيرَه إِلَى الْخُسْرَانِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَظَلَّ مِنَ الْمُؤمِنينَ الصَّادِقينَ ، قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[2] .

٧ - دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى دِينِ اللهِ وَجِهَادُ الصَّادِّينَ عَنْ سَبيلِ اللهِ :

إِنَّ الْعَبدَ إِذَا ذَاقَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ ، وتَمكَّنَ حَبُّ اللهِ

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) سوره العصر .

مِنْ قَلبِهِ ، فَإِنه يَسْعَى جَاهِدًا فِى أَنْ يُبْعِدَ نَفْسَهُ وأَهْلَهُ والنَّاسَ جَمِيعًا مِنْ ظُلُمَاتِ الكُفْرِ والإِلحَادِ والْغَفْلَةِ إِلى نُورِ الْإِيمَانِ والْقُرآنِ والهِدَايَةِ ، فهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ مُتَحمِّلاً أَذى النَّاسِ ، مُحْتَسِباً الأَجْرَ والثَّوابَ عِندَ اللهِ سُبحانَهُ ، قالَ اللهُ تعالَى :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[١] وقَالَ تَعَالَى :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] . وَقَالَ رسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليه وآله وسلم ـ : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً)[٣]

وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ، وَيَقِفُونَ حَائِلاً بَيْنَ النَّاسِ وبَيْنَ الدُّخُولِ فِى دِينِ اللهِ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُكَلَّفٌ بِأَنْ يُجَاهِدَهُم حَتَّى يُمَكِّنَ لِدِينِ اللهِ مِنَ الوُصُولِ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ ، فيُؤمِنُ مَنْ آمَنَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ قالَ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ

---

(١) سورة فصلت : الآية (٣٣) .

(٢) سورة يوسف : الآية (١٠٨) .

(٣) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه .

عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]. وقالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّه لِلهِ ﴾[٢]

٨ - مُوَالَاةُ الْمُؤمِنِينَ والتَّبَرُّؤُ مِنَ الْكَافِرِينَ :

الْوَلَاءُ : هُو حُبٌّ وَوُدٌّ وَمُنَاصَرَةٌ وتَأْييدُ الْمُؤمِنِ لِأَخِيهِ الْمُؤمِنِ ، وَمِنْ أَهَمِّ مُقْتَضَيَاتِ الْإِيمَانِ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْمُؤمِنُ وَلَاءَهُ لِإِخْوانِهِ الْمُؤمنينَ ، وَلَا يُعطِي الْمُؤمِنُ وَلَاءَهُ عَلَى غَيْرِ أَسَاسِ الْإِيمَانِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[٣] وقَالَ تَعالَى :

---

(١) سورة الصف : الآية (١٣) .
(٢) سورة الأنفال : الآية (٣٩) .
(٣) سورة المائدة : الآية (٥٥) .

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وقد جعل الله للمؤمن أسوة حسنة في التبرؤ من الكافرين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾(٢)

---

(١) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٢) سورة الممتحنة: الآية (٤).

نَوَاقِضُ الإِيمَانِ

أولاً: الكُفْرُ وأنواعُهُ

(أَ) كُفْرُ التَّكْذِيبِ :

وهُوَ اعْتِقَادُ كَذِبِ الرَّسُولِ – صلى الله عليه وآله وسلم – فِي أَيِّ شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[1] .

(ب) كُفْرُ إِبَاءٍ واسْتِكْبَارٍ :

وَهُوَ مِثْلُ كُفْرِ إِبْلِيسَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْحَدْ أَمْرَ اللهِ ، ولَا قَابَلَهُ بِالْإِنْكَارِ ، وَإِنَّمَا تَلَقَّاهُ بِالْإِبَاءِ والاسْتِكْبَار ، وَهُوَ مِثْلُ حَالِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ دِينَ الإِسْلَام هُو دِينُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ سِوَاهُ ، والَّذِي فِيهِ صَلَاحُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، ثُمَّ يَتْرُكُه ، وَيَتَّخِذُ لَهُ دِيناً أَوْ مَذْهَباً مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ ، قَالَ اللهُ تعالَى : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2]

---

(١) « زبر » : كتب مكتوبة . سورة فاطر : الآية (٢٦) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٣٤) .

(ج) كُفْرُ الإِعْرَاضِ :

وَهُوَ الْإِعْرَاضُ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَلَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ ولَكِنَّهُ يُعْرِضُ عَنهُ قَالَ اللهُ تعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـآيَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[١]

(د) كُفْرُ الشَّك :

وَهُو الَّذِى يَشُكُّ فِى مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَلَا يَجْزِمُ بِصِدْقِهِ ولاَ بِكَذِبِهِ ، قَالَ اللهُ تعَالَى : ﴿ وقَالُوآ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيب ﴾[٢].

(هـ) كُفْرُ الجُحُودِ :

وَهوَ أَنْ يَجْحَدَ جُمْلَةَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ ، أَوْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الإِسْلَام ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٣]

وَقَالَ تعالَى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـآيَـٰتِ ٱللهِ يَجْحَدُونَ ﴾[٤]

---

(١) سورة السجدة : الآية (٢٢) . (٢) سورة إبراهيم : الآية (٩) .
(٣) سورة النمل : الآية (١٤) . (٤) سورة الأنعام : الآية (٣٣) .

ثانيًا: الشــرك وأنــواعــه

قَالَ تعَالَى « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (١)

وقَالَ تعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيماً﴾ (٢)

والشِّرْكُ يَتَنَاقَضُ مَعَ الإِيمَانِ ، وَهُوَ أَنْوَاع :

(أ) شِرْكُ مَنْ يُؤمِنُ بِاللهِ وَلَكِنَّهُ يَجْعَلُ لَهُ شَرِيكاً فِي الْمُلْكِ والتَّصَرُّفِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ : خَلْقاً ، وحَيَاةً ، وَرِزْقاً ، وَمَوْتاً ، وَضُرًّا ، وَنَفْعاً :

وهَذَا الشِّرْكُ كَشِرْكِ النَّصَارَى وَالمَجُوسِ ، إِذْ يَعتَقِدُ النَّصَارَى أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا - وَيَعْتَقِدُ المَجُوسُ أَنَّهُ ثَانِيَ اثْنَينِ - تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقُولُونَ - قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٣) .

(١) سورة الزمر : الآية (٦٥) .

(٢) سورة النساء : الآية (٤٨) .

(٣) سورة الفرقان : الآية (٢) .

(ب) شِرْكُ مَنْ يَصِفُ نَفْسَه أَو غَيْرَهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ :

وَهِي الصِّفَاتُ الَّتِي لاَ تَكُونُ إِلاَّ لِلهِ ، كَقَولِ فِرْعَونَ : ﴿ أَنَارَبُّكُمُ الأَعلَى ﴾ [1] ، أَو مَنْ يَجْحَدُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ كَمَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ، كَقَولِ فِرْعَونَ : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [2] ، وَقَولِ كُفَارِ قُرَيْشٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [3] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [4] .

(ج) شِرْكُ مَنْ يَعْبُدُ غيرَ اللهِ بِأَىِّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَان العِبَادَةِ :

قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [5]
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ [6]
وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [7] .

---

(١) سورة النازعات الآية (٢٤) . (٢) سورة الشعراء الآية (٢٣) .
(٣) سورة الفرقان : الآية (٦٠) . (٤) سورة الرعد : الآية (٣٠) .
(٥) سورة النساء : الآية (٣٦) . (٦) سورة الزمر : الآية (٦٤) .
(٧) سورة الزمر : الآيتان (٦٥، ٦٦) .

ثالثاً: الـــــــــــــرِّدَّةُ

قَالَ تعالَى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1]

وَالمُرتَدُّ هُوَ مَنْ تَرَكَ دِينَ الإِسْلَامِ وَهُوَ عَاقِلٌ، مُخْتَارٌ، غَيرَ مُكْرَهٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ ، كَالنَّصْرَانِيَّةِ ، أَو اليَهُودِيَّةِ ، أَو إِلى غَيْرِ دِينٍ كَالشُّيُوعِيَّةِ ، أَوْ أَنكَرَ مَاهُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً ، كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ وَالزكَاةِ، أَوْ عَمِلَ أَعْمَالاً ضِدَّ الإِسْلَامِ وَمَنَاهِجِهِ المَعْلُومَةِ أَو قَالَ قَولاً لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيْلاً غَيْرَ الكُفْرِ .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢١٧) .

بِمَاذَا تَحْصُلُ الرِّدَّةُ؟

(أ) رِدَةُ الاعْتِقَادِ وَمِنها مَا يلِى :

١ - اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مِنَ الْمسلمينَ بِاللّهِ ، أَوْجَحَدَ بِهِ ، أَوْ نَفَى صِفَةً ثَابِتَةً مِنْ صِفَاتِهِ لَا يَجْهلُهَا مِثْلُهُ ، أَوْ أَثْبتَ لَهُ شَيْئًا أَنْكَرَهُ كَالْوَلَدِ ، أَوْ كَذَّبَ بِالْمَلَائِكَةِ أَوِ الْكُتُبِ أَو الرُّسُلِ ، أَوِ الْيَوْم الْآخِرِ ، أَوِ الْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، أَوْ أَىِّ أَمْرٍ عُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ كَافِرٌ .

٢ - مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ مرْتَدٌ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْمسلمينَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ أَوْبَعْضَهُ وَلَوْ آيَة مِنهُ ، كَمَا تَكُونُ الردَّةُ بِاعْتِقَادِ تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ وَاخْتِلَافِهِ ، أَوِ الشَّكِّ فِى إِعْجَازِهِ ، أَوِ ادِّعَاءِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، أَوْ إِسْقَاطِ حُرْمَتِهِ ، أَوِ الزِّيَادَةِ فِيهِ ، أَوِ النَّقْصِ مِنْهُ .

٣ - يُعْتَبرُ كَافِرًا مُرْتَدًّا مَنِ اعْتَقَدَ كَذِبَ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فِى بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ ، وَمَنِ اعْتَقَدَ حِلَّ شَىْءٍ مُجْمَعٍ عَلَى تَحْرِيمِهِ كَالزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ .

(ب) ردة الأَقوال ، ومنها ما يلى :

١ - مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الإِسْلَامِ كَاذِباً . فَعَنْ ثَابِتِ بْن الضَّحَاكِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قَالَ [1] » .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : (مَنْ قَالَ : إِنِّى بَرِىءٌ مِنَ الإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قالَ ، وَإِنْ كانَ صادِقاً لَمْ يَعُدْ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِماً) [2] .

٢ - مَنْ سَبَّ اللهَ تَعَالَى ، أَوِ الْقُرْآنَ ، أَوِ الرَّسُولَ ، أَوْ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَدْ كَفَرَ سَوَاءً كَانَ مَازِحاً أَوْ جَادًّا ، أَوْ مُسْتَهْزِئاً ، قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَءَايَٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [3]

---

(١) رواه الجماعة إلا أبا داود .

(٢) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وإسناده حسن .

(٣) سورة التوبة : الآية (٦٥) .

٣ - أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ رَمَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رضى اللهُ عَنْهَا - بِحَدِيثِ الإِفْكِ الَّذِى بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ،قَالَ سُبْحَانَهُ :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله : ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) فَمَنْ عَادَ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ .

٤ - الطَّعْنُ فِى الدِّينِ ، فَمَنْ هَاجَمَ الْإِسْلَامَ وَطَعَنَ فِى دِينِ اللهِ ، أَو دَعَا إِلَى مَبْدإٍ إِلْحَادِىٍّ أَوْ كُفْرِىٍّ ، فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾(٢) .

(ج) رِدَّةُ الْأَفْعَالِ ، وَمِنْهَا مَا يَلِى :

١ - أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مِمَّا يُوجِبُ كُفْرَ الْمُسْلِمِ إِلْقَاءُ

---

(١) « الإفك » الكذب . « عصبة : من العشرة إلى الأربعين . سورة النور : الآيتان (١١ - ١٧) . (٢) سورة التوبة : الآية (١٢) .

الْمُصْحَفِ أَوْ جُزْءٍ مِنْهُ أَوْ تَلْطِيخُهُ بِالْقَذَرِ ، وَمِثْلُهُ كُتُبُ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ وَالنَّبَوِيِّ ، وَكَذَا مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْقُرْآنِ ، قَالَ تعالَى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1] .

٢ ـ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ سَجَدَ مِنَ المسلِميْن لِصَنَمٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمرٍ ، أَوْ أَتَى بِقَوْلٍ ، أَوْ فِعْلٍ صَرِيح يَدُلُّ عَلَى الاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ فَقَدِ ارْتَدَّ .

٣ ـ مَنْ هَرَبَ مِنَ المُسلِميْنَ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ (وَهِيَ بِلَادُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ الْمُسْلِمينَ) مُخْتَاراً ، مُحَارِباً لِلْمُسْلِمِينَ فَقَدْ كَفَرَ ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] وَلِنَهْيِهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عَنْ ذَلِكَ وَبَرَاءَتِهِ مِنْه :

٤ ـ مَنْ حَارَبَ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنَ الْمُسْلِميْنَ ، وَاسْتَبْدَلَهَا بِالْقَوانِينِ الْبَشَرِيَّةِ تَعْطِيلًا لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَقَدْ كَفَرَ ، قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة التوبة : الآية (٦٥) .   (٢) سورة المائدة : الآية (٥١) .

(٣) سورة المائدة : الآية (٤٤) .

رابعًا: النِّفَــــــــــاقُ

وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الإِنْسَانُ لِلْمُسْلِمِينَ إِيمَانَهُ وَهُوَ فِى الْبَاطِنِ كَافِرٌ مُكَذِّبٌ. والنِّفَاقُ فِى الْعَقِيدَةِ كُفْرٌ، غَيْرَ أَنَّ صَاحِبَهُ لا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْكَافِرِينَ لِعَدَم إِظْهَارِ كُفْرِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[2].

وَهُنَاكَ نِفَاقٌ عَمَلِىٌّ غيْرُ النِّفَاقِ فِى العَقِيْدَةِ مِثْلُ: خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَالْكَذِبِ، وَخُلْفِ الْوَعْدِ، وَلَا يُعْتَبَرُ الْمُنَافِقُ بِالنِّفَاقِ الْعَمَلِىِّ كَافِرًا، وَلَكِنَّهُ يَكُونُ فَاسِقاً عَاصِياً فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ.

---

(١) سورة المنافقون: الآية (١).

(٢) سورة المنافقون الآية (٣).

صِفَاتُ المُنَافِقِين

وَمِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ مَايَلى :

(أ) الإِفسَادُ فى الأَرْضِ بِتَهْدِيمِ شَرِيعَةِ اللهِ واتِّهامِ المُؤْمِنينَ بَالسَّفَهِ :

قَالَ اللهُ تعَالَى فِى وَصْفِ المُنَافِقينَ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فى ٱلْأَرْض قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

(ب) خِدَاعُ المُؤْمِنينَ بِإِظْهَارِ الإِيمَانِ إِذَا قَابَلُوهُمْ ، ثُمَّ إِظْهَارُ الْكُفْرِ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ :

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[٢]

---

(١) « السفهاء » : ضعفاء العقول . سورة البقرة : الآيات (١١–١٣).
(٢) « خلوا » : انصرفوا إليهم . سورة البقرة : الآية (١٤) .

(ج) الْإِعْرَاضُ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى شَرْعِ اللهِ وَصَدُّ النَّاسِ عَنِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[1] .

(د) الأَمْرُ بالمنكرِ والنَّهىُ عَنِ المَعْرُوفِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا ٱللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[2]

(هـ) اتِّخَاذُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً *

---

(١) « الطاغوت » : المراد به هنا الضليل كعب بن الأشرف اليهودى . « يصدون » : يعرضون إعراضاً . سورة النساء : الآيتان (٦٠ و٦١) .

(٢) « يقبضون أيديهم » يبخلون بالإنفاق فى الخير « فنسيهم » : أى حرمهم الله من توفيقه وهدايته . سورة التوبة : الآية (٦٧) .

ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾[١] .

(و) مُعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهِم ، وَمُوَلَاةُ الْكَافِرِينَ لِكُفْرِهِمْ :

وَمَنْ يُوالِي الْكَافِرِينَ ويُحِبُّهُمْ وَيُنَاصِرُهُمْ بِسَبَبِ مَبادِئِهِمْ الْكُفْرِيةِ فَقَدْ نَقَضَ إيمَانَهُ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ الْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[٢] ومَنْ يُعَادِي الْمُؤْمِنِينَ فَيُحَارِبُهُمْ ويَبْغَضُهُمْ ، وَيَنْصُرُ أَعْدَاءَهُمْ عَلَيهِمْ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ فَقَدْ نَقَضَ إيمَانَهُ . قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[٣] .

---

(١) « أيبتغون » : أيطلبون عندهم المنعة والقوة والنصرة . سورة النساء : الآيتان (١٣٨ و ١٣٩) .

(٢) « يوادون » : يتوددون . « حاد الله » : عاند وعادى الله ورسوله . سورة المجادلة : الآية (٢٢) .

(٣) « وما نقموا » وما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله . « فتنوا » : ابتلوهم بالإيذاء ، وذلك بإحراقهم بالنار . سورة البروج الآيات (٨-١٠).

وَهؤُلَاءِ يَنْدَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ سُخْرِيَّتِهِمْ واسْتِهْزَائِهِمْ بِالمُؤْمِنينَ ، قَالَ اللهُ تعالَى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[1]

(١) « سخرياً » مهزوءاً بهم . سورة المؤمنون : الآيات (١١٠-١١٢).

جَهَالَاتٌ خَطِيرَةٌ

مُسْلِمُونَ وَلَكِنْ جَهَلَةٌ :

لَقَدْ عَمَّ الْجَهْلُ بِدِينِ اللهِ كَثِيرًا مِنْ بلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى وُجِدَ الْمُسْلِمُ الَّذِى يَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتِى الزَّكَاةَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ ، وَيَحُجُّ الْبَيْتَ ، وَيُؤْمِنُ بِكُلِّ مافِى الْقُرْآنِ ، يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - وَيُصَدِّقُهُ وَيَغَارُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَع ذَلِكَ تَرَاهُ يَأْتِى أَعْمَالًا وَيَقُولُ أَقْوَالًا ، وَيَعْتَقِدُ بِمُعْتَقَدَاتٍ تُوقِعُه فِى الْكُفْرِ ، أَوِ الشِّرْكِ ، أَوِ النِّفَاق ، وَهُو لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا بَلْ رُبَّمَا ظَنَّ أَنَّ مَاهُو عليهِ مِنْ شِرْكٍ وكُفْرٍ وَنِفَاقٍ هُوَ الصَّوَابُ الَّذى يُرضِى اللهَ. فَهُو مُسْلِمٌ يَغَارُ عَلَى دِينِهِ ولَكِنَّه وَاقِعٌ فِى الْكُفْرِ أَو الشِّرْكِ بِجَهْلِهِ الَّذى يُعَرِّضُه لِعَذَابِ النَّارِ .

الْجَاهِلُ مُعْذُورٌ وَلكِنْ يَجِبُ عليهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَتَّبعَ الْحَقَّ إِذَا جَاءَهُ :

إِنَّ مَنْ ثَبتَ لَهُ الْإِسْلَامُ لَا يُنْزَعُ مِنْهِ إِلَّا بِمَا يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ ، وَالْقَصْدُ والنِّيةُ شَرْطُ صِحَّةِ الْأَعْمَال .

والْجَاهِلُ الذى وَقعَ فِى شِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ يَنْقُضُ الإِيمَانَ ولَمْ يَقْصُدْ نَقْضَ إِيمَانِهِ فَهُوَ مَعْذُورٌ ، وَعَلَيهِ أَن يَتَعَلَّمَ ويُبَادِرَ بِالتَّوبَةِ ، فَقَدْ سَأَلَ الْحَوارِيُّونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - جَهْلاً مِنْهُمْ - بِقَوْلِهِمْ كَمَا جَاءَ فِى الْقُرْآنِ :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

فَهُمْ بِهَذَا يَجْهَلُونَ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَةِ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَلَكِنَّ الْجَهْلَ كَانَ عُذْرًا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ عَليهِ السَّلَامُ .

وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - معَ أَصْحَابِه إِلَىٰ خَيْبَرَ مَرُّوا بِشَجَرَةٍ ذَاتِ تَعَالِيقَ (ذَاتِ أَنْوَاطٍ) كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا سُيُوفَهَمْ عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِى نَصْرِهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لِرَسُولِ اللهِ : اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - : « سُبْحَانَ اللهِ

---

(١) سورة المائدة : الآية (١١٢) .

هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى :﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ﴾ [١] والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » [٢]

لَقَدْ وَقَعَ أَصْحَابُ هَذَيْنِ السُّؤَالَيْنِ لِمُوسَى ، وَمُحَمَّد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ جَهْلًا فيمَا يُوجِبُ الشِّرْكَ ، فَكَانَ جَوَابُ مُحَمَّد عَليهِ وآلَه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » .

وَكَانَ جَوَابُ مُوسَى عليه السَّلَامُ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [٣] وَمَا قَالَ عِيسَى وَلَا مُوسَى ، وَلَا مُحَمَّدٌ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَقَعُوا جَهْلًا فِى الْكُفْرِ ، والشِّرْك بَعْدَ أَنْ صَحَّ إِيمَانُهُمْ : إِنَّهُمْ كَافِرُونَ أَوْ مُشْرِكُونَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ ... وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [٤]

لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ بَعْدَ الْعِلْمِ :

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ قَدْ أَصْبَحَ بِهَذِهِ الْخُطُورَةِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ دِينَ ٱللهِ ، وَيَجِبُ عَلَى مَنْ

---

(١) سورة الأعراف الآيه (١٣٨) .
(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه أحمد عن أبى راقد .
(٣) سورة الأعراف الآيه (١٣٨) .
(٤) سورة الأحزاب : الآية (٥) .

وَقَعَ جَهْلًا أَوْ خَطَأً فِي كُفْرٍ أَوْ شِرْكٍ أَنْ يُبَادِرَ بِالتَّوْبَةِ ، قَالَ تَعالَى عَنِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَابَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنِ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مُخَالَفَةِ دِينِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَيَتَّبِعُونَ طَرِيقاً غَيْرَ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُمُ الْبَيَانُ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾[٢] .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٥٩) .

(٢) « يشاقق » : يخالف بعد معرفته للحق . «نوله» : نخل بينه وبين مااختار لنفسه . « نصله » : ندخله جهنم . سورة النساء : الآية (١١٤) .

أَلْــــوَانٌ مِنَ الشِّــــرْكِ

الْإِشْرَاكُ مَع اللهِ فِى تَصْرِيفِ الْمَخْلُوقَاتِ :

كُلُّ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ اللهِ يَتَصَرَّفُ فِى هَذَا الْكَوْن ، وَيضُرُّ وَينْفَعُ بِطَرِيقَةٍ غَيْبِيَّةٍ غَيْرِ طَرِيقَةِ الْأَخْذِ بِسُنَنِ اللهِ الَّتِى قَدَّرَ اللهُ بِهَا الْخَلْقَ ، كَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ إِنْسَاناً مِنَ الْأَحْيَاءِ أَو الْأَمْوَاتِ يَهَبُ الْأَوْلَادَ ، وَيُجِيبُ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ وَيَأْتِى بِالْمَطَرِ ، وَيَحْمِى الْبُيُوتَ أَو الْأَنْعَامَ ، أَو الْأَوْلَادَ ، أَوِ الْعُرُوسَ مِنَ الْقُوَى الْخَفِيَّةِ الضَّارَّةِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ ، قَالَ تَعَالَى يَصِفُ نَفْسَهُ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَٰثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[١] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ

---

(١) سورة الشورى : الآيتان (٤٩ و ٥٠) .

(٢) سورة النمـــل : الآية (٦٢) .

فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ، وقالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾[2] وقالَ تَعَالَى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾[3]. والقِطْمِيرُ : هُوَ لفَافَةُ النَّوَاةِ الرَّقِيقَةِ .

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١٧) .

(٢) « غوراً » : غائر فى الأرض لاينال . « معين » : حاد على وجه الأرض . سورة الملك : الآية (٣٠) .

(٣) « يولج » : يدخل الليل فى النهار والعكس . « سخر » : ذلل . والقطمير : هو لفافة النواة الرقيقة . سورة فاطر : الآية (١٣) .

ألوان من الشرك فى العبادات

١ - جَعْلُ نَصِيبٍ مِن الرِّزْقِ لِغَيْرِ اللهِ :

الَّذى يُقَدِّمُ السَّمْنَ أَو الْعَسَلَ أَو الْحُبُوبَ لِبَعْضِ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ ، والقُبُورِ ، وَالَّذى يُقَدِّمُ اللَّحْمَ واللَّبَنَ لِلْجِنِّ ، والَّذى يَجْعَلُ أَوَّلَ مَوْلُودٍ مِنْ بَقَرَتِهِ ، أَوْ غَنَمَتِهِ نَذْرًا لِغَيْرِ اللهِ والَّذى يُقَدِّمُ الْبَيْضَةَ (يَكسِرُهَا) أَمَامَ الْعَرُوسِ إِرْضَاءً لِلْجِنِّ ، والَّذى يُقَدِّمُ شَاةً لِلْجِنِّ فِى كُلِّ عَامٍ أَوْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ لِحِمَايَةِ بَيْتِه أَوْ بِئْرِهِ ، كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَقَعُ فِى الشِّرْكِ ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُم إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾[1] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيباً فَقَالوا هَـٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ

---

(١) « تجئرون » : تضجون بالاستغاثة والتضرع . « تفترون » : تكذبون . سورة النحل : الآيات (٥٣ ـ ٥٦) .

وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1] وَدَاخِلٌ فِى هَذَا مَنْ يَرْمِى بِسِنِّهِ لِلشَّمْسِ لِتَمْنَحَهُ سِنًّا أَجْمَلَ .

٢ ـ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ :

مَنْ ذَبَحَ لِمَكَانٍ مُعَيَّنٍ مِثْلِ شَجَرَةٍ ، أَوْ سُوقٍ ، أَوْقُبَّةٍ ، أَوْ قَبْرٍ ، فَهَذَا كَذَبْحِ الْجَاهِلِيَّةِ لِلْأَنْصَابِ الَّتِى كَانُوا يُقِيمُونَهَا لِلْأَصْنَامِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ بِالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ لِأَنَّ الذَّبْحَ عِبَادَةٌ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[2] وقَالَ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]

وَرَوَى الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِب ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ عَنِ الرَّسُولِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أَنَّهُ قَالَ : « لَعَنَ

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١٣٦) .
(٢) سورة الكوثر : الآيتان (١ و ٢) .
(٣) سورة الأنعام : الآية (١٦٣) .

اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ »[1] وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حَرَج الذَّبْـح فِى الْأَهْجَارِ الَّتِى تُقَدَّمُ لِلنَّاسِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَسُوقَ الْهجَرَ وَيُقَدِّمَهُ حَيًّا وَيَذْبَحَهُ مَنْ لَهُ الْهجَرُ وَبِهَذَا لَا يَكُونُ فى الْهَجَرِ ذَبْحٌ لِغَيْرِ اللهِ . وَلَا يَجُوزُ الْهجَرُ لِمَكَانٍ مُعَيَّن بِحَال مِنَ الْأَحْوَالِ .

٣ ـ دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ :

بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَه أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ ، فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] وَبَيَّنَ الرَّسُولُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فِى قَوْلِهِ : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ »[3] فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ سَوَاءَ كَانَ مَلَكاً مُقَرَّباً أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا ، أَوْ وَلِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، أَوْ جِنِّيًّا مِنَ الشَّيَاطِينِ ، أَوْ أَىَّ إِنْسَانٍ حَيًّا أَوْ مَيِّتاً فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ ، قَالَ تَعَالَى :

---

(١) الحديث بتمامه : (لعن الله من ذبح لغير الله . ولعن الله من لعن والديه . ولعن الله من آوى محدثاً . ولعن الله من غير منار الأرض) . أخرجه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، والنسائى فى سننه .

(٢) « داخرين » : صاغرين ذليلين . سورة غافر : الآية (٦٠)

(٣) أخرجه أحمد والترمذى .

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[٣] .

٤ ـ الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ :

مَنْ نَبَذَ حُكْمَ اللَّهِ وَرَفَضَهُ إِلَى حُكْمِ بَشَرٍ أَوْ أَعْرَافٍ وأَسْلَافٍ تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ أَوْ قَوَانِينَ وَضْعِيَّةٍ فَقَدْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْحُكْمَ عِبَادَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(١) سورة يونس : الآية (١٠٦) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٩٤) .

(٣) سورة الإسراء : الآيتان (٥٦ و ٥٧) .

ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] وَيُصْبِحُ الْحُكْمُ حُكْماً بِالطَّاغُوتِ ، قَالَ تعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾[2] ، وَقَالَ تعَالَى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] .

٥ ـ اسْتِحْلَالُ الْمُنْكَرِ والرِّضا بِانْتِشَارِهِ :

فَالرَّاضُونَ ظاهرًا وباطنًا بِفُشُوِّ الْمُنْكَرِ وَانْتِشَارِهِ ، مُسْتَحِلِّينَ لَهُ كُفَّارٌ فَاقِدُوا الْإِيمَانِ ، وَإِنْ هُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُبَارِكُ الْمُنْكَرَ وَيُحِبُّهُ ، إِلَى جَانِبِ اسْتِحْلَالِهِ ، كَمَنْ يُنْسَبُ الْيَوْمَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ يَسْتَحِلُّ وَيُحِبُّ وَيَرْضَى وَيُبَارِكُ أَنْ تَتَعَرَى النِّسَاءُ فِى الْأَسْوَاقِ والْمُجْتَمَعَاتِ الْعَامَّةِ ، وَأَنْ يَتِمَّ اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ

---

(١) سورة يوسف : الآية (٤٠) .

(٣) سورة النساء : الآية (٦٠) .

(٢) سورة البقرة : الآية : (٢٥٧) .

لِيُمَتِّعَ نَفْسَهُ بِالْحَرَامِ ، أَوْ كَمَنْ يَسُبُّ الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُحَافِظَةَ بِسَبَبِ إِسْلَامِهَا ويَسْتَهْزِئُ بِهَا وَبِأَهْلِهَا وَيَتَّهِمُهُمْ بِالرَّجْعِيَّةِ والتَّأَخُّرِ ، وَشَتَّى نُعوتِ النَّقْصِ ، وَيَخَافُ إِذَا نُودِىَ فِى النَّاسِ بِوُجُوبِ تَحْكِيمِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى ، وَغَايَةُ خَوْفِهِ أَنْ تَخْتَفِىَ هَذِهِ الشَّهَوَاتُ الْمُحَرَّمَةُ أَوْ أَنْ تُحَارَبَ الْخُمُورُ .

وَفِى هَؤُلَاءِ يَصْدُقُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - : « مَا مِنْ نَبِىٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ ، يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَالَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ »[1] .

٦ - ادِّعاءُ عِلْمِ الْغَيْبِ :

إِذَا ادَّعَى شَخْصٌ لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ عِلْمَ الْغَيبِ فَقَدْ

(١) رواه مسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

وَقَعَ فِى الشِّرْكِ والْكُفْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ...﴾[1] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ...﴾[2] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُعَلِّماً رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3] . . إِنَّهُ امْتِحَانٌ بَسِيطٌ يَفْضَحُ بِهِ اللهُ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْغَيْبَ وَهُوَ أَنْ يَعْرِفُوا التِّجَارَةَ الرَّابِحَةَ وَيُتَاجِرُونَ بِهَا ، وَعِنْدَئِذٍ يَكُونُونَ أَغْنَى النَّاسِ ، أَوْ يَعْرِفُونَ مَا سَيَقَعُ مِنَ الْمَصَائِبِ فَيَجْتَنِبُونَهَا فَلَا تَقَعُ لَهُمْ مُصِيبَةٌ .

وَيَدْخُلُ فِى هَذَا مَايَقُومُ بِهِ الْمُنَجِّمُونَ والْكُهَّانُ ، قَالَ عَلَيهِ وآله الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ »[4] ، وَبَعْضُ

---

(١) سورة الجن : الآية (٢٧) .

(٢) سورة الأنعام : الآية (٥٩) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (١٨٨) .

(٤) الحديث أخرجه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وهو صحيح .

الْحَقَائِقِ الَّتِى يَأْتِى بِهَا الْمُنَجِّمُونَ والْكُهَّانُ وَهِىَ نَادِرَةٌ إِنَّمَا هِىَ مِنْ خَبَرِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ ، الَّذِينَ يَخْلِطُونَ بِالْحَقِيقَةِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ كَذْبَةً . والْمُتَّصِلُونَ بِالشَّيَاطِينِ هُمْ أَخْبَثُ النَّاسِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾[1] .

٧ – السِّحْرُ والْخِدَاع :

وَمَنْ مَارَسَ السِّحْرَ ، ودَعَا بِأَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ ، وَعَقَّدَ الْعُقَدَ ، وَوَضَعَ التَّمَائِمَ والْحُرُوزَ الَّتِى تَذْكُرُ أَسْمَاءَ الْجِنِّ ، وَفَعَلَ مَحبَّاتٍ وَمَكَارِهَ لِلأَزْوَاجِ والزَّوْجَاتِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الْكفْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ

---

(١) « أفاك » : كذاب عاص . سورة الشعراء : الآيات (٢٢١ – ٢٢٣).

وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَالَهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وَمِنَ السِّحْرِ : مَا يَقُومُ بِهِ الْمَجَاذِيبُ ، الَّذِينَ يَضْرِبُونَ رُؤُسَهَمْ ، وَيَطْعَنُونَ أَجْسَامَهُمْ بِالسُّيُوفِ وَالْخَنَاجِرِ ، وَمَا يَقُومُ بِهِ الْمُقَذِّى الَّذِى يُخَيِّلُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يُخْرِجُ الحَصَا والْأَسْحَارَ مِنْ بُطُونِ النَّاسِ ، قَالَ عليهِ وآله الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكَهَّنَ ، أَو تُكُهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ أَوْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لهُ »[2] .

٨ ـ الْوَدْعُ ، والْقَلَائِدُ ، وَأَكْلُ تُرَابِ الْقُبُور والتَّمَسُّحُ بِهَا :

وَمِنَ الْجَهَالَاتِ اعْتِقَادُ بَعْضِ الْجَهَلَةِ أَنّ لِلْوَدعِ خَصَائِصَ النَّفْعِ فِى دَفْعِ الْجِنِّ فَيُعَلِّقُونَهَا عَلَى حَيَوَانَاتِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَهُنَاكَ مَنْ يُعَلِّقُ حِبَالًا وَخُيُوطاً بَدَلًا عَنْهَا

---

(١) « فتنة » : ابتلاء واختبار . « من خلاق » : من نصيب فى الثواب والجنة بل هم أهل النار . سورة البقرة : الآية (١٠٢) .

(٢) التطير : هو التشاؤم بأصوات أو طيران بعض الطيور . رواه البزار بسند جيد .

أَوْ يُعَلِّقُ حُرُوزًا فِيهَا أَسْمَاءُ الْجِنِّ وَرُسُومٌ مَجْهُولَةٌ ، أَوْ يَأْكُلُ تُرَابَ الْقُبُورِ ، وَيَتَمَسَّحُ بِالتُّرَابِ ، كلُّ ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ الَّذِى يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَجَنَّبَهُ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ .

وَقَدْ قَدَّرَ اللهُ لَنَا أَقْدَارًا ضَارَّةً نَعْرِفُهَا بِعُقُولِنَا ، عَلَيْنَا أَنْ نَدْفَعَهَا بِالْأَقْدَارِ النَّافِعَةِ فَنَدْفَعَ قَدَرَ الْجُوعِ بِقَدَرِ الطَّعَامِ ، وَقَدَرَ الْمَرَضِ بِقَدَرِ الدَّواءِ ، وَمَا عَجَزْنَا عَنْهُ اسْتَعَنَّا وَاسْتَغَثْنَا بِمَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ .

التَّقَدُّمُ الَّذِى تَخَلَّفْنَا عَنْهُ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِى أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجِدُ أَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا عَالَةً عَلَى غَيرِهِم مِنَ الشُّعُوبِ فِى تَصْرِيفِ أُمُورِ الدُّنْيَا : مِنْ صِنَاعَةٍ ، وَزِرَاعَةٍ ، وَتِجَارَةٍ ، وَخِبرَاتٍ فَنِيَّةٍ. فَمَا هُوَ السَّبَبُ فِى هَذَا التَّخَلُّفِ الْمَادِىِّ بَلْ وَالتَّخَلُّف الدِّينِىِّ ؟

بَعْدَ أَنْ ضَعُفَ الإِيمَانُ فِى النُّفُوسِ ، وضَعُفَتِ الصِّلَةُ بِاللهِ ، وَضَعُفَتِ الأَخْلَاقُ والسُّلُوكُ بَدَأَ الْفَسَادُ يَدُبُّ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى خَلَفَ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهُواتِ فَتَظَالَمَ النَّاسُ ، وَكَثُرَتِ الذُّنُوبُ ، وَنَشَأَ الصِّرَاعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَفَشَّى الْجَهْلُ بِأُمُورِ الدِّينِ والدُّنْيَا مَعاً ، وَكَثُرَتِ الْبِدَعُ والْخُرَافَاتُ ، وَفَقَدَ الْمُسْلِمُونَ وَحْدَتَهُمْ وأُخُوَّتَهُمْ ، وَذَهَبَتْ بِذَلِكَ قُوَّتُهُمْ ، وَأَصْبَحُوا يَنْحَدِرُونَ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى أَسْوأَ .

الاسْتِعْمَارُ عَمَّقَ جُذُورَ التَّخَلُّفِ فَاسْتَجَبْنَا لَه :

وَإِذَا كَانَ اللهُ يَقُولُ : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[1] فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ فَقَدُوا الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ الخُرَافَاتُ والْبِدَعُ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ - أَصْبَحُوا مُهَيَّئِينَ لِقَبُولِ حُكْمِ الْكَافِرِينَ ، الَّذِينَ بُذَلُوا كُلَّ جُهُودِهِمْ لِمُحَارَبَةِ كُلِّ مَا يَنْهَضُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ودُنْيَاهُمْ ، وَنَتِيجَةً لِضَعْفِ الْإِيمَانِ وُجِدَ مِنَّا مَنِ اسْتَجَابَ لِمُؤَامَرَاتِ الْكَافِرِينَ وَأَعَانَهُمْ على إِنْجَاحِ مُؤَامَرَاتِهِمْ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ .

أَسَبابُ التَّقَدُّمِ فِى الدِّينِ وَالدُّنْيَا :

إِنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِى تَنْهَضُ بِالْمُسْلِمِينَ فِى أَمْرِ دِينِهِمْ تَتَمَثَّلُ فِى تَعْمِيقِ الْإِيمَانِ فِى نُفُوسِهِمْ ، وَتَقْوِيَةِ صِلَتِهِمْ بِخَالِقِهِمْ ، وَإِخْلَاصِ عِبَادَتِهِمْ لَهُ سُبْحَانَهُ ، واتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ والتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الإِسْلَامِ ، وَتَرْبِيَةِ الْأَجْيَالِ عَلَى هَذَا كُلِّهِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

وَتَتَمَثَّلُ الْأَسْبَابُ الَّتِى تُحَقِّقُ النَّهْضَةَ فِى أَمْرِ الدُّنْيَا فِى أَنْ يُحْسِنَ الْمُسْلِمُونَ الانْتِفَاعَ بِمَا أَوْدَعَ اللهُ فِى أَرْضِهِمْ مِنْ خَيْرَاتٍ .

---

(١) سورة النساء : الآية (١٤١) .

وَهُمْ يَحْتَاجُونَ لِتَحْقِيقِ هَذَا إِلَى أَسْبَابٍ مِنْ أَهَمِّهَا :

١ ـ تَوْفِيرُ الْخِبَرَاتِ الْفَنِّيَّةِ والْأَيْدِى الْعَامِلَةِ الْمُدَرَّبَةِ .

٢ ـ تَوفيرُ الْأَمْوالِ وَالْمَوَادِّ الْخَامِ .

٣ ـ تَوْفِيرُ الْمَصَانِعِ والْأَسْواقِ الْمُسْتَهْلِكَةِ لِمَا تَنْتُجُهُ الْمَصَانِعُ .

٤ ـ وُجُودُ النِّظَامِ الْعَادِلِ الَّذِى يُشَجِّعُ الْعَمَلَ ، وَيَمْنَعُ الظُّلْمَ والطُّغْيَانَ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذه الْأَسْبَابَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ الَّذى يَحثُّنَا دِينُنَا عَلَى الْأَخْذِ بِهَا وَتَحْقِيقِ التَّعَاوُنِ لِلْقِيَامِ بِهَا خَاصَّةً وَالْحَاجَةُ إِليهَا مَاسَّةٌ ، لِأَنَّ الْمُسْلِمينَ إِن أَهْمَلُوهَا ـ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ ـ احْتَاجُوا وَذَلُّوا لِلْكَافِرِينَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1] إِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى الْبِرِّ الَّذى يَتَّسِعُ لِهَذَا كُلِّهِ وَيَتَّسِعُ لِغَيْرِهِ ، ونَهَانَا عَنِ الْإِثْمِ والْعُدْوَانِ ، بِكُلِّ صُورِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى

---

(١) سورة الحج : الآية (٧٨) .

ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

بِإِمْكَانِنَا مثلاً أَنْ نُقِيمَ كُلِيَّةً لِلشَّرِيعَةِ ،أَوِ الْهَنْدَسَةِ ،أَوِ الصَّيْدَلَةِ ، أَوِ الْعُلُومِ ، أَوِ الزِّرَاعَةِ أَوِ الطبِّ فِى كُلِّ شَهْرٍ ، لَوْ دَفَعَ كُلُّ يَمَنِىٍّ نِصْفَ رِيَالٍ ، وَمِنْ هَذِهِ الْكُلِّيَاتِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْصُلَ عَلَى الْخِبرَاتِ الْفَنِّيَّةِ اللَّازِمَةِ لِإِيجَادِ الصِّنَاعَةِ ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْتَشِفَ خَيْرَاتِ الْبِلَادِ ، وَأَنْ نُحْسِنَ الانْتِفَاعَ بِهَا ، وَبِإِمْكَانِنَا أَنْ نَجِدَ الْمُدَرِّبِينَ لِلْأَيْدِى الْعَامِلَةِ .

لَوْ دَفَعَ كُلُّ يَمَنِىٍّ رِيَالًا فِى كُلِّ شَهْرٍ ، عِنْدَئِذٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقِيمَ شَرِكَةً أَوْ مَصْنَعاً نَافِعاً فَكَيْفَ لَوْ دَفَعَ كُلٌّ مِنَّا مَا يَسْتَطِيعُ ؟ ! عِنْدَئِذٍ نَخْتَصِرُ طَرِيقَ النَّهْضَةِ الْمَادِيَّةِ فِى سَنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ .

لَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ غَنِيَّةً بِالثَّرَوَاتِ ، وَلَكِنَّنَا لِضَعْفِنَا عَجَزْنَا عَنْ الانْتِفَاعِ بِهَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، إِلَّا تَحْتَ إِشْرَافِ غَيْرِنَا مِنَ الْكَافِرِينَ .

---

(١) سورة المائدة : الآية (٢) .

مُحَارَبَةُ الْمُسْتَعْمِرِينَ لِأَسْبَابِ تَقَدُّمِ الْمُسْلِمِينَ :

لَقَدْ خَضَعَتْ مُعْظَمُ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ عَشَرَاتِ السِّنين لِحُكْم الْكَافِرِينَ الَّذين لَمْ يَتْرُكُوا فُرْصَةً لِحَرْبِ الْإِسْلَامِ والْمُسْلِمِينَ إلَّا وانْتَهَزُوهَا ، فَحَارَبُوا الدِّينَ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْمَيَادِين ، وَمِنْ أَهَمِّهَا :

١ ـ إلْغَاءُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَنْ تَحْكُمَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ .

٢ ـ مُحَارَبَةُ التَّعْلِيمِ الدِّينِىِّ فِى الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ والْجَامِعَاتِ.

٣ ـ مُحَارَبَةُ عُلمَاءِ الْإِسْلَامِ الْعَامِلين .

٤ ـ إنْشَاءُ الْأَحْزَابِ الْإِلحَادِيَّةِ الْمُحَارِبَةِ لِلدِّينِ .

٥ ـ تَشْجِيعُ الْبِدَعِ والْخُرَافَاتُ ، والْمُتَاجَرَةِ بِاسْمِ الدِّينِ.

٦ ـ إفْسَادُ الْمَرْأَةِ وَأَحْوَالِ الْأُسْرَةِ ، ونَشْرُ الْخَلَاعَةِ وَالْفَسَاد الْخُلُقِى .

٧ ـ بَعْثُ أَسْبَابِ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ والْعَدَاوَةِ بَينَ الْمُسْلِمِينَ .

وَلَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ مِنْ طَاعَةِ أَهْلِ الْكِتَاب ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ

ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾(١).

وَأَمَّا مُحَارَبَةُ الْمُسْتَعْمِرِينَ لِقُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْمَادِيَّةِ فَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْرَزِهَا :

١ - إِيجَادُ الْحُدُودِ الْمُفَرِّقَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

٢ - الاسْتِيلَاءُ عَلَى ثَرَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

٣ - إِيجَادُ جِيلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ رَبَّاهُمْ عَلَى يَدِ عُمَلَائِه مِنَ الْمُنَصِّرِينَ (الْمُبَشِّرِينَ) والْمُسْتَشْرِقِينَ ، وَأَوْهَمُوهُم أَنَّ تَقَدُّمَ الْمُسلِمِينَ لَا يكُونُ إِلَّا بِمُحَارَبَةِ الدِّينِ وإِفْسَاد الْمَرْأَةِ بِاسْمِ (تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ) مِنْ قُيُودِ الْأَخْلَاقِ والْفَضِيلَةِ والْعِفَّةِ ، وَبِإِبَاحَةِ الْخُمُورِ والزِّنَا وَبِمُحَارَبَةِ الشَّرِيعَةِ واسْتِبْدَالِهَا بِالْقَوانِينِ الْوَضْعِيَّةِ .

وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَتَوجَّهَ هَؤُلَاءِ إِلَى إِقَامَةِ الْمَصَانِعِ والشَّرِكَاتِ ، والْكُلِّيَّاتِ والْجَامِعَاتِ والْمُخْتَبَرَاتِ تَوجَّهُوا إِلَى مُحَارَبَةِ الشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ ، فِى عَقَائِدِهَا وَأَخْلَاقِهَا وَشَرِيعَتِهَا ومَبَادِئِهَا ، وأَصْبَحَ الْمُصَلِّى فِى نَظَرِ هَؤُلَاءِ رَجْعِيًّا

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٠٠) .

مُتَخَلِّفاً ، وتَارِكُ الْصَّلَاةِ تَقدُّمِيًّا ، والْمَرْأَةُ الْعَفِيفَةُ الشَّرِيفَةُ رَجْعِيَّةٌ مُتَأَخِّرَةٌ ، والْفَاسِقَةُ الْفَاجِرَةُ تَقَدُّمِيَّةٌ ، وَالَّذِى يَصُونُ عَقْلَهُ وَبَدَنَهُ مِنَ الْخَمْرِ رَجْعِيًّا مُتَزَمِّتاً ، والْعِرْبِيدُ تَقَدُّمِيًّا مُتَحَرِّرًا .

أَيْنَ الْمَصَانِعُ ؟ .... أَيْنَ الشَّرِكَاتُ ؟ ..... أَيْنَ الْمُخْتَبَرَاتُ ؟

لَقَدْ صَرَفَنَا الْمُسْتَعْمِرُونَ وَتَلَامِيذُهُمْ عَنِ الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ التَّقَدُّمِ الْمَادِيِّ الصَّحِيحِ .

٤ - جَعَلَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ الْمُسْلِمِينَ مُعْتَمِدِينَ عَلَيهِمْ وَعَلَى مَصَانِعِهِمْ وإِنْتَاجِهِمْ .

وَعَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ التَّقَدُّمَ الَّذِى وَقَعَ فِى بِلَادِ الْكَافِرِينَ لَمْ يَكُنْ بِفَضْلِ الْكُفْرِ ، لِأَنَّ الْكُفْرَ قَدِيمٌ مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَنْتُج الْكُفْرُ لِأَهْلِهِ فِى الْقَدِيمِ طَائِرَاتٍ أَوْ صَوَارِيخَ أَوْ كَهْرَبَاءَ أَوْ غَيْرِهَا ، لَكِنَّ تَقَدُّمَهُمُ الْمَادِيَّ تَحَقَّقَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا بِالْأَسْبَابِ الَّتِى جَعَلَتْهُمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِى بَسَطَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَآءِ وَهَٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ

رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾[١] فَأَخَذُوا عَطَاءَ اللهِ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا ، وَحُرِمْنَا لِأَنَنَا تَكَاسَلْنَا .

طريقُ النجاح:

وَيَوْمَ أَنْ يَتَمَسَّكَ الْمُسْلِمُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ ، عِنْدَئِذٍ يَعُودُ لَهُمْ مَجْدُهُمْ وَيَنْصُرُهُمُ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، فَيَسْهُلُ لَهُمْ عِنْدَئِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِكُلِّ أَسْبَابِ النَّجَاحِ فِي أُمُورِ الدِّينِ والدُّنْيَا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، والْحَمْدُ لِلهِ ربِّ الْعَالَمِينَ .

---

(١) سورة الإسراء : الآية (٢٠) .



فهرس